﴿ ديوان ﴾

تذكار الصبا

نظم

نجيب بن سليمان الحدّاد

اللبناني

طبعة ثانية

﴿ بمطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية سنة ١٩٠٥ ﴾

ويطلب منها

اهداء الديوان

الى المنشئة الفاضلة والكاتبة المجيدة السيدة الكسندره افيرينوه

صاحبة مجلة انيس الجليس الغراء

الطل يحلو على ازهار نيسانِ ... والورد يجمل في اغصان بستانِ
والعقد يزهو على جيد يزينهُ ... والكحل يحسن في الحاظ غزلان
والدر يُعطى لمن يدري بقيمته ... والشعر يهدى الى ارباب عرفان
وانتِ زهرة نيسان تزينها ... فضائل دونها انداء نيسان
وانت وردة روض طاب منبتها ... وصاغها الله من حسن واحسان
وانت جيد المعالي عقده دررٌ ... من النهى ليس من در ومرجان
وانت تدرين قدر الدر حين بدا ... في حسن لفظ وثغر منك فتان
وانت زينة آداب القريض ومن ... هذا القبيل انا اهديك ديواني
قد ضل قوم باهداء القريض الى ... ارباب مال وليس المال من شاني
من كل غرّ له يتلى القريض كما ... تتلى الصلاة على آذان سكران
هم الرجال لهم شكل الرجال اذا ... بدوا وان نطقوا اقوال صبيان
وانت غادة خدر قد جمعت لنا ... حسن الفتاة الى همات فتيان
وانت اول حسناء بها ظهرت ... الطاف انسانة في حزم انسان

همُّ النساء بتزيين وتطرية … وهمك المجد يبقى بعد ازمان
انشأت للناس والاداب قد خمدت … مجلة اصبحت نوراً لاذهان
قد نال قاصٍ ودانٍ من فوائدها … فجاءها الشكر من قاص ومن دان
فهي الجليس لمن اعفت مجالسه … وهي الانيس لذي همٍّ واشجان
والمنهل العذب يزهو في جوانبه … زهر البديع ويروي كل ظمآن
أهديك شعري فأهدي في مجانسة … غصن البيان الى غصن من البان
فان يحز منك ديواني القبول فقد … حاز القبول به في كل ديوان

المخلص
نجيب الحدّاد

قال مفتتحاً العدد الاول من جريدة السلام

يمدح مولانا السلطان الاعظم وسمو الخديوي المعظم

وهو محرر لتلك الجريدة

لقد عاد عصر العلم بعد انقضائهِ ... وجدَّد هذا الطرس بعد امحائهِ
ولاحت شموس الفضل بعد افولها ... واشرق نور القطر بعد اختفائه
وفتح فيه العلم ازهار روضة ... وشاد عليه العدل عالي بنائه
وناداه صوت النصر من جانب العلى ... فكان صليل السيف رجع ندائه
فلبى واكباد الاعادي خوافق ... لديه كخفق الريح حول لوائه
وعاهده الفتح القريب فلم يزل ... وفياً لديه ثابتاً في ولائه
تقاسم كل المجد بين سيوفه ... وبين ظبى الاقلام من شعرائه
فمن ذي يراع يزدهي بمداده ... ومن ذي حسام يزدهي بدمائه
ومن صحف خطت عليها يد العلى ... ومن صحف تبدو لنشر علائه
وقد زادت الايام فيها صحيفة ... «سلام» بها يُهدى الى كرمائه
تباهي بعنوان السلام وتنتمي ... الى وطن كل العلى في انتمائه
بظل امير المؤمنين تفتحت ... كمائمها عن مدحه وثنائه
مليك حوى نوراً من المجد باهراً ... تودُّ الدراري انها من ضيائه
وادرك ما بين السلاطين منزلاً ... رفيعاً يرد الطرف باهي سنائه

نقلد فوق السيف سيف مهابة ... من الله حد السيف دون مضائه
واظهر من نور الخلافة رونقاً ... لنا ما حكاه الدهر عن سلفائه
سليل بني عثمان لا زال ملكهم ... على الناس تجري الارض طوع قضائه
ألاحبذا « عبد الحميد » وحبذا ... زمان تبدى فيه من خلفائه
وياحبذا مصر التي ابتسمت لنا ... بانوار « عباس » العلى وبهائه
لقد ناب عن مولاه خير نيابةٍ ... كما ناب بدر في الدجى عن ذُكائه
امير تولى القطر والخطب مظلم ... فجلى دياجي الخطب نور ذكائه
وقام باعباء الامور يديرها ... بحكمة كهل في اقتبال فتائه
ومن كان من نسل العليّ محمد ... فغير بعيد حقه من رجائه
اذا افتخر القطر العزيز فخره ... بان قد غدا العباس من امرائه
فلا زال يرعى القطر دوماً ولا تزل ... مدائحه موصولة بدعائه

وقال في وصف الشرق

يابني الشرق اين ذاك الضياء ... اين تلك النفوس والآلاء
اين ذاك المقام تحسده الشمـ ... ـس بهاء واين ذاك العلاء
اين من طاولوا النجوم فودّت ... شرفاً انها لهم حصباء
اين ارض قد خصها الله بالـ ... ـوحي وجاءت من قومها الانبياء
قد عهدنا في الشرق مطلع انوار ... فما باله عراه المساء
اي شيء جرى على الكون حتى ... انقلبت عن نظامها الاشياء
فرأينا غرب البلاد منيراً ... وغدونا وشرقنا الظلماء

لست اعني بالنور شمس سماء بل شموساً ما اطلعتها سماء
ابرزتها ايدي الرجال بآفا ق ذكاء تغار منهُ ذكاء
هي شمس العلى تمثلها الشمس كما مثل النجوم الماء
كتبت احرف المساواة فيها فتلتها حرية واخاء
كلمٌ كلها محبة اوطان ورأس الايمان ذاك الولاء
عظمته ممالك الغرب حتى بلغت منه في العلى ما تشاء
فاراقت دماءها وبنته بجسوم لها ونعم البناء
واطرحناه نحن في الشرق حتى صد عنا وطال منه الجفاء
لا لعمري بل طال منا جفاء عنه واستحكمت بنا الاهواء
من تخلى عن حبه لم يكن للحب ذنب فالحب منه براء
ليس حب الاوطان في لبس خز واختيال تغار منه النساء
واقتداء باهله كيف جاؤوا في الذي لا يفيد فيه اقتداء
وانصراف عن كل علم وتفريق قلوب بها يقوم النماء
وانشغال عن البلاد باهواء نفوس قد صد عنها الحياء
واطراح الملا اولي الفضل ميلاً لغوانٍ تميلها الصهباء
واتخاذ المناصب الغر اسباب عداء يرمى بها الابرياء
ان حب الاوطان عدل وحلم وثبات وعزة ووفاء
واصطبار على الزمان وتاليف قلوب وغيرة واباء
وجهاد في كل فضل وحرية قول وانفس شماء
وقلوب لا تنثني في الذي تبغي ولو حال فيه نار وماء

واكف تعاقدت تكتب المجـ ـد لو ان الحروف فيه دماء
ذاك حب الاوطان يا ايـ ـها الناس وهذي صفاته الغراء
كم تنادي يا قومنا ثم لا نـ ـسمع غير الصدى وكم ذا النداء
أو لسنا القوم الاولى ملكوا المد ن ودانت لديهم الغبراء
والاولى سطروا المعارف واستجـ ـلوا خفايا الورى فزال الخفاء
ليس نيل العلى بصعب اذا ثا رت اليه حمية قعساء
نحن ابناؤها ومن نصر الا باء تنصر بفضله الابناء
كلنا واحد لنا وطن فر د وان عددت بنا الاسماء
انما نحن هيكل واختلا ف الاسم وهم فكلنا اعضاء
وسبيل العلى قريب هو الالـ ـفة فيها المنى وفيها الرجاء
وعلى الله نجحنا في ختام ان ثبتنا وصح منا ابتداء

وقال وقد بعث بها الى صديقه عبده افندي الحمولي

المطرب المشهور

تبادر منه الدمع فانحل عقده غريب تصباه العذيب ورنده
كأن له في كل برق سحابة تسيل ولكن وقعها منه خده
عليل اذا لاقى الهوا ذكر الهوى فزاد بكل منهما فيه وجده
يحمل ارواح الصبا من سلامه وذلك من عانى الصبابة جهده
سقى الله اطلال العقيق وان تكن اطالت ظما قلب تزايد وقده
بكى غيمه فيه بمقلة عاشق على غصنه لما تمايل قده

ووافته ارواح النسيم عليلة　　فصح بها ماء الغدير ووِرده
وفتح فيه النرجس الغض طرفه　　على وجنات الزهر فاحمر ورده
كأن خرير الماء في جنباته　　انين اخي عشق تطاول صده
يسبح فوق العود بلبلها لمن　　براه كما غنى على العود عبده
اديب اذا ما جس اوتار عوده　　تفاوح مسك اللحن منه ونده
فما طيب ارواح الصبا ان شدا الصبا　　وما رصدات الكنز ان بان رصده
اذا ما شدا ينسي العراق عراقه　　ويلهو بارباب النهى نهونده
لكل امام في البرية مشبه　　سواه فهذا عندنا عز نده
فدع ذكر سلاَّم ودع ذكر معبد　　وخذ واحداً يغني عن الكل فرده
تملك اعناق الاغاني ألا ترى　　الى كفه في عنق عود تشده
لئن كان باسم العبد يدعى فانه　　مليك قلوب الناس بالطوع جنده
يصرفها انى يشاء كأنما　　باوتاره فيها عنان يمده
حوى من صفات النفس خير خلالها　　لذلك كانت كل نفس توده
وحاز من الاوصاف ما يستجيده　　فلم يبق من وصف بها يستجده
سمعت به حتى وددت سماعه　　فلم يرض حتى نالني منه وده
كذلك اخلاق الكريم فانه　　يزيد على آمال راجيه رفده
لئن كان هذا الود طفلاً بعهده　　لقد شب طفل كان في القلب مهده
وداد سقاه القلب ماء حياته　　فكان كود قد تقادم عهده
ازف اليه بعضه في قصيدة　　غدت لي الى نيل المودة قصده
فان نلت منها ما أرجي فنظمها　　الى مثل هذا الشان كنت أعده

وقال في رسالة الى صديق له

لا تعذلنَّ الدهر في احكامهِ ... واقصر عناك فلست من حكامهِ
لو كان ينفع في الزمان ملامه ... لم تاق خلقاً قط من لوامه
من راض صرف الدهر ابصر طرفه ... في صحوه ما لا يرى بمنامه
يقضي فيظلم جايراً في حكمه ... والكل مغلوب على احكامه
بتنا نعلل بالوصال نفوسنا ... من باخل لم نرج رد سلامه
ويغرنا الامل الغرور بملتقى ... من لا يراه الطرف في احلامه
ما ازهد الانسان في ساعاته ... واشد صبوته الى اعوامه
يلهو عن اليوم الذي هو حاضر ... فكأن ذلك ليس من ايامه
وتراه يطمع في البعيد كأنه ... قد نال في كفيه فضل زمامه
هيهات ليس العمر الا ساعة ... حضرت وعند الله علم تمامه
ما لي وللآمال ارقب غيمها ... والعين لم تظفر بغير جهامه
من ليس يغتنم الرذاذ لشربه ... ولى ولم يطفئ غليل اوامه
يا من قنعت بكتبه متعللاً ... كتعلل الساري بنجم ظلامه
يشتاق طرفي منك بدراً طالعاً ... والبعد بين غرامه ومرامه
حال النوى دون العيان ولم تحل ... في الصب بين فؤاده وهيامه
دنف يرنحه هواك صبابة ... فكأنه ثمل بسكر مدامه
يشكو البعاد الى الزمان ولم اجد ... متظلماً يشكو الى ظلامه
ان السقيم اذا تعذر برؤه ... يلجا لما قد كان اصل سقامه
يا مانحاً عيني برؤية خطه ... ما فات اذني من سماع كلامه

ان كان قد عز اللقاء باسره　　فابعث بخطك فهو من اقسامه

وقال معاتباً بعض اصدقائه

أحبتنا طال التعاتب والهجرُ　　أراق لكم ان ينقضي هكذا العمر
عتبتم فاعتبنا فهلاً رضيتم　　بنا حين ارضيناكم وانقضى الامر
وهلا جعلتم سابق الالفة التي　　غدت ذنبنا ان تعتدي وهي العذر
عهدناكم اصفى قلوباً من الندى　　واوسع من بحر اذا سكن البحر
فما بال هاتيك السجايا تغيرت　　لنا وهي فيما دوننا ما بها نكر
واظلم ذاك البدر في وجهنا وقد　　نراه بعيني غيرنا وهو البدر
ليهنكم نيل العدى ما سعوا له　　وان سركم ضر فيا حبذا الضر
طبعنا على حفظ الوداد قلوبنا　　لمحبوبها ذل الهوى ولها الصبر
فلا تحسبوا مر التجني يملنا　　فنحن الاولى في الحب يحلو لنا المر
لئن ذبلت جناتكم من ودادنا　　فجناتنا اوراقها ابداً خضر
وان حطنا قول العدى من صدوركم　　فانكم من صدرنا لكم الصدر

وقال

للدهر يامهجتي احتكامُ　　فلا عتاب ولا ملامُ
ما عتب من لم يكن يرجى　　منه سماع ولا كلام
لقد رضينا بما قضاه　　لنا وما سنهُ الغرام
الحب اولى بلوم صب　　ان كان ما يشتهي يلام

فهو الذي كله سلاح وهو الذي كله سلام
وهو الذي كله شفاء وهو الذي كله سقام
فارقتكم والغرام عندي والقلب فى حبكم يقام
هل يسمح الدهر بالتداني ياجيرة الحي يا كرام
فتشتفي منكم عيون من بعدكم لم تعد تنام
ويشتفي منكم فؤاد لكم بسودائه مقام
لقد هجرتم كما هجرنا في حالتينا لنا اقتسام
وقد بعدتم كما بعدنا فلا عقاب ولا انتقام
حاشاكم من عذاب قلب يكفيه من خطكم سلام
لقد بعثنا لكم كتاباً يحمله الشوق والهيام
كاتبه قلبي المعنى وحبره مدمعي السجام
ارسلت فيه السلام برداً وزفرتي عنده ضرام
ومهجتي ضمنه سطور وقلبتي فوقـه ختام
كتبته والدموع مني لها كالفاظه انسجام
لكن لها فوقه انتثار وللهوى بينها انتظام
بعثت قلبي لو كان عندي اولي الى قلبي استلام
خلفته امس في حماكم وجاركم لم يكن يضام
فارسلوا منه لي جواباً ان لم يكن رده يرام
سيان قلبي وانتم لي كلاكما عندي المرام
ياويل صب غريب قلب وساهر حوله نيام

يميته حبكم نهاراً شوقاً ويحيى به الظلام
كان يمل المنام قبلاً واليوم قد مله المنام
ان كان هجرانكم حلالاً لكم فما وصله حرام
فلا تكونوا عليه عوناً فقد كفاه الذي يسام
ولا تطيلوا عليه بعداً فكل امر له ختام

وقال وهو مما نظمه في صباه

لمن طلل بالرقمتين محيلُ عفت رسمه الارواح وهي قبول
وقفت عليه ناقتي وجميعنا على البعد من طول الزمان عليل
أسائله عن اهله فيجيبني به منزل عافي الطلول محيل
سقاك الحيا يادار هند على البلى وجادك من قطر الغمام سيول
وحيى اويقاتاً لنا بك قد مضت وظل اجتماعي في رباك ظليل
وغصنك من ماء السحاب منور وغصني من ماء الشباب يميل
وايامنا كالروض باكره الندى وهبت عليه في الصباح بليل
اذ الشمل مأمون التفرق والنوى واذ نحن في برد الوصال نجول
تصبحنا سلمى بصبح جمالها كما صبحتنا في الصبوح شمول
فتاة لها في كل قلب جراحة وفي كل ناد للغرام قتيل
سقيمة جفن الطرف من غير علة قريبة مابين الحاجبين كسول
رقيقة مضموم الوشاح فخصرها ضعيف واما ردفها فثقيل
لها مقلة الظبي الغرير وجيده سوى انها تدنو وذاك جفول

وترنو الى عشاقها وهو نافر ويقتله القناص وهي قتول

وقال معاتباً

أحبتنا ما انتم بعد انتمُ فلله مــا كنا عليه وكنتمُ
ولله ايام تقضت لنا بكم توهمت بقياها فساء التوهم
بنيت الهوى منكم على الرمل جاهلاً بان اساس الرمل لا بد يهدم
وخلت بان الحب يحلو لديكم وهيهات يحلو الماء والكأس علقم
سترتم وراء الحب غايتكم كما يستر بغضا بالسلام المسلم
فلم تلبثوا ان ضاق صدركم بما حوى فتبدى منه ذاك المكتم
وخير الهوى ما لم تكن فيه غاية كما ان خير السر ما ليس يعلم
ولكن ابى غدر الزمان بان أرى صدوقاً كأن الصدق شيء محرم
وقل بنو الدنيا فلم الق غيرها كأني واياها سوار ومعصم
فيا ويح نفسي كيف ارجو نجاتها وايامها والناس قوس واسهم
يصيبون عن عمد وعن غيره فما بحاليهم الا الاذى والتألم
تقل اخلاء القلوب من الورى وكلهم صحب اذا نطق الفم
وهيهات ما يجدي اللسان صداقة اذا لم يؤازره بها اللحم والدم
وشر الهوى ما ليس يبنى على الصفا كذلك كانت صحبة لي منكم
سأفطم قلبي عن هواكم ومن يجد فساداً بما يغذوه لا بد يفطم
واصرف نفسي عن حماكم واغتدي امر على ابوابكم لا أسلم
وان حلمت عيني بكم في منامها منعت الكرى عنها لكي لا تهوم

وان لاح لي في الماء مر خيالكم ... صدفت كأن الماء ماء مسمم
زعمتم بان الحب منكم على الوفا ... فهلا ذكرتم قصدكم اذ زعمتم
واقسمتم ان ليس من غاية لكم ... فهلاً ثبتم في الذي قد حلفتم
وقلتم وقلتم ما لنا ولقولكم ... عفا الله عما قد فعلتم وقلتم
مضى زمن كنا نواصلكم به ... واقبل يوم فيه لا نتكلم
غضبنا وعادينا الصحاب لاجلكم ... وراجعتموهم فاهنأوا وتنعموا
ولو كان ما في نفسنا في نفوسكم ... لقاطعتموهم مثلنا وغضبتم
لحى الله حباً ليس فيه تشابه ... فقلب به يشقى وقلب ينعم
وما الحب الا ان يكون الذي بكم ... كمثل الذي بي بالسواء يقسم
اضعتم فؤاداً كان عذر غرامكم ... فلله انتم اي قلب اضعتم
فؤاد حوى جسمي بكل دمائه ... فلم يبق لي الا جلود واعظم
وصار دمي فيه غراماً مجسماً ... وما خال لي ان الهوى يتجسم
لعمرك ان الحب كالماء لونه ... كلون اناء فيه يبدو ويرسم
وما كل من يخفي الهوى منه سالم ... ولا كل من يبدي الصبابة مغرم
تخالف ابناء الزمان فمظهر ... خلاف الذي يخفي وآخر يكتم
ولم يبق الا من يريبك قوله ... وتزداد فيه ريبة حين يقسم
وتسمع منه غير ما في فؤاده ... وشتان ما قلب الفتى والتكلم
عجبت لنفسي كيف لا تسأم البقا ... وبعض الذي تلقاه للنفس يسئم
فمن جاهل بالفضل او متجاهل ... وذو الفضل فيما بين هذين يحرم
ومن زاهد بالعلم زهداً لو انه ... باموالهِ صلوا عليه وسلموا

لقد ذل دينار المعارف عندهم ... وعز بايديهم من المال درهم
وقل رجال النقد حتى لقد غدا ... سواء لديهم جاهل ومعلم
واضحى الذي يتلى الفصيح بسمعه ... من القول محتاجاً الى من يترجم
واصبح خير الناس من يجمع الغنى ... واتعس خلق الله من يتعلم
واسفل ابناء الزمان رؤوسه ... واجهلهم فيه الامير المحكم
كذلك دهر نحن فيه كأنما ... به صمم عن صوت من يتكلم
رضينا بما في دهرنا من ظلامة ... ولم يرض عنا الناس فالناس اظلم
عفى الله عن مظلومنا ويعمنا ... برحمته فالله يعفو ويرحم

وقال وقد ارسل بها الى صديق له

لكل فتى هوى بين البرايا ... وخير هوى الفتى حسن السجايا
وما هذي الحياة سوى طريق ... وايام الزمان لها مطايا
تسير بها الانام على اختلاف ... ويتفق الجميع لدى المنايا
هنالك لا ترى للملك قدراً ... وتنكر كل طلاع الثنايا
لعمرك ما الزمان سوى غرور ... وما الدنيا سوى بعض الدنايا
تغر الجاهلين على وسام ... ويعرفها الذي عرف الخفايا
اشير اليك يا من لا اسمي ... فانت مقدر طي النوايا
لك الفضل الذي يصبي ويسبي ... فانفسنا لديه من السبايا
ورب رسالة برزت الينا ... بروز البدر من سعد الخبايا
خلعت بها علي رداء مدح ... نقشت عليه حسنك والمزايا

اراك خصصتني باللب فضلاً وانى منه تكفيني الشظايا
تطارحني القريض واين منه فؤاد فتى غدا هدف الرمايا
لقد ملأ الزمان بهن قلبي فلم يترك خبايا في الزوايا
وهيهات القريض وقد شغلنا عن الدنيا بترديد الشكايا
شكايا لا تفيد القلب صبرًا وقد تغدو عليه من البلايا
اذا عبث المشيب برأس عانٍ فذاك من الردى احدى الخطايا
يقاس بما مضى ما سوف يأتي كما يجري القياس على القضايا
ومن لم يستفد عبر المواضي فليس تفيده عبر البقايا

وقال ايضاً يمدح مصر والمصريين

يا أرض مصر تحية وسلام وسقاك من صوب الغمام ركامُ
بل انتِ غانية عن المطر الذي يهمي فان النيل فيك غمام
نهر تبارك ماؤه فتكاد ان تمحي بطهر مياهه الآثام
ويكاد لو رشف العليل زلاله يشفى العليل وتذهب الاسقام
يحيي البلاد بمائه فكأنه الروح التي تحيي بها الاجسام
ان شابه كدر ففي أكداره صفو وفي فيضانه انعام
يجري على ارض مباركة كما تجري فتحيي الشاربين مدام
أرض اذا لم يعلُ في ارجائها علم فان كرامها اعلام
لبست من المجد التليد مطارفاً ولها من المجد الطريف وسام
وتعانقت والفخر من قدم كما قد عانقت الف الكتابة لام

مجد به هرم الزمان ولم يزل — غضاً وقد شهدت به الاهرام
هرمان زانا صدر مصر فاشبها — نهدين زانهما سناً وتمام
نهدان كان الدهر يرضع منهما — ان الزمان لمجد مصر غلام
ارض الفراعنة الذين بنوا لها — في الدهر ما لا تبلغ الاوهام
بنيان عز في السطور مخلد — وبناء مجد في الصخور يقام
لا بدع ان بقيت مآثرهم فقد — بقيت جسومهم وهن رمام
جثث كأن الدهر هاب مساسها — او كان معها للزمان ذمام
يا حبذا ارجاء مصر وحبذا — للزهو فيها مرتع ومسام
الشرق هام وهي معقد تاجه — والشرق جسم وهي منه الهام
والشرق وجه يزدهي بجماله — بشراً ومصر ثغره البسام
هي جنة الدنيا التي يحلى بها — وجهُ الزمان وتبسم الايام
وحديقة العلم التي يزكو بها — ثمر العقول وتنبت الاقلام
ان غاب بدر كمالها فيما مضى — فاليوم عاد البدر وهو تمام
بدر جلته عشيرة علوية — فجلا به ظلم وزال ظلام
قوم اذا كتبوا اجاب يراعهم — واذا هم ضربوا اجاب حسام
واذا هم ركبوا السبيل الى العلى — فالعزم سرج والذكاء لجام
قد سارت الايام تحتهم كما — شاؤا الى ان ادركوا ما راموا
نامت عيون الناس تحت امانهم — دهراً وعين الدهر ليس تنام
ان كان قد لؤم الزمان بما جنى — في ارض مصر فاهل مصر كرام
يلقون حد الحادثات بانفس — يرتد عنها الدهر وهو كهام

من كل من يحيي الرجاء فواده ... صبراً ويعصم صبره الاسلام
متواضعون على الجلال وانما ... عند التواضع يعرف الاعظام
كرماء قد الفوا الندى خلقاً فما ... لهم على غير الندى لوّام
يتحملون الضيم عن نزلائهم ... وجوارهم والجار ليس يضام
شيم من العرب الاكارم انها ... ما اورث الاخوال والاعمام
ارث قد احتفظوا به ولطالما ... قد ضيعت ميراثها الاقوام
ولو انه ارث النضار لفرقت ... بدراته الفقراء والايتام
فخراً بني مصر فان فخاركم ... باقٍ على الايام ليس يرام
تهديكم الدنيا المدائح والثنا ... فهي الفواتح والسلام ختام

وقال يرثي خاله الشيخ خليل اليازجي رحمه الله تعالى

يقلُّ عليك تمزيق القلوبِ ... فكيف يفيك تمزيق الجيوبِ
ومثلك لا يناح له بدمعٍ ... اذا لم يمتزج بدم صبيب
بكيت عليك قبل البين دهراً ... مخافة مثل ذا اليوم الرهيب
فلم يغن البكاء ولم يباعد ... مسافة ذلك الموت القريب
عليك سلام ربك من فقيد ... مضى متزوداً حب القلوب
رحلت فكم جفون فيك قرحى ... تركت وكم قلوب في وجيب
وكم خلَّفت من فطن اديب ... ينوح على فتى فطن اديب
فتى كالسيف لم يلحقه فلٌّ ... ولم يعلق به وضر العيوب
غريبة دهره قد كان حتى ... رماه الدهر بالامر الغريب

مضى غض الصبا لكن فيه ... مضاء الكهل في حلم المشيب
فلم نفقد به فرداً ولكن ... فقدنا فيه كل فتى اديب
فاي صفاته نبكي وايا ... نعد ولا نقارنها بطيب
بلاغة حجة في حسن نطق ... ولطف فتوة في عقل شيب
ستبكيه المحابر جاعلاتٍ ... مدامعها من الحبر السكوب
وتندب فقده الاقلام حتى ... يكون صريرها بدل النحيب
وترثيه المروءة وهي تروي ... حديث صبائه الغض الرطيب
وتبكيه الكتابة والقوافي ... كما ناح النسيب على النسيب
وتذكره الروايات اللواتي ... كساها معلم الثوب القشيب
وتروي ذكره في كل نادٍ ... بما يغنيه عن قول الخطيب
قد اعتل « الصحيح » له فامسى ... ينوح به على اوفى طبيب
كما اعتلت له « النسمات » وهي اا ... صحيحة دون منتقد مريب
فقدناه واي فتى فقدنا ... لحل مشاكل وجلا كروب
هوى بالشمخ من لبنان طود ... لديه كل طود كالكثيب
وجل مصابه عن كل خطب ... فلم يغنِ التأسي بالخطوب
عهدتك لا تردُّ نداء داع ... ولا تلقاه بالوجه القطوب
فمالك لا تجيب نداء طفل ... وانت دعوته باسم « الحبيب »
ولا تلوي لعرسك وهي ثكلى ... وكنت مؤاسياً ثكلى الغريب
ولا ترثي صباك وكنت ترثي ... بشعرك كل مفقود لبيب
فمن لقرائح الشعراء تأتي ... بمثل قريضك السامي العجيب

تقاضانا الرثاء اليك خطب ... يقول لانفس الشعراء ذوبي
ولكني رثيتك بالذي قد ... بقي من بحر علمك من نصيبي
أنوح عليك نوح فقيد علم ... ونوح اخ ونوح ابن ربيب
وهيهات البكاء يفيك لكن ... اليه منتهى جهد الكئيب

وقال في احتراق سوق الشفقة في باريز سنة ١٨٩٧

ايُّ رزء اجرى الدموع دماء ... واذاب القلوب والاحشاء
وأسال النفوس حزناً واذكى ... الصدر نارا واستنزف العين ماء
اي خطب اصاب باريس امّ ... المدن بنت التمدن الزهراء
فجعة اكمدت ضحاها وقد خصّت ... بنيها وعمّت الغرباء
ليس بدع في خطب باريس ان ... تشمل آثار حزنه الدنياء
هي قلب الدنيا أصيب بسهم ... فاصابت آلامه الاعضاء
وهي امُّ الآداب اثكلها الدهر ... فابكت بوجدها الابناء
قد دهاها مصاب سادوم لكن ... خص من بين قومها الابرياء
فهي في الحزن مثل راحيل اذ ... تبكي بنيها ولا تريد عزاء
أصلت الكهرباء فيها لهيبا ... قد كرهنا لاجله الكهرباء
ورماها نور الضياء بنار ... اظلمتها فما تلاقي الضياء
في مكان اتشي لدفع بلاء ... عن فقير فكان فيه بلاء
سوق برّ تباع فيها اللهى يز ... ينها ويشرى الثواب فيها شراء
زينتها بيض الايادي وايدي ... البيض من محسن ومن حسناء

أنفس تبتغي السماء فما امسيـ   ن الا وقد بلغن السماء
ادركت ما تروم من جنة   الخلد ولكن كان الطريق صلاء
من رأى قبلها جحيماً يؤدي   لنعيم ابناءه الشهداء
او رأى محسناً يجود على الناس   فيلقى نار الحريق جزاء
أترى كان ذاك مطهر من ما   توا فيمحو عن النفوس الخطاء
ام هو الدهر لا يزال مسيئاً   لكريم ومكرماً من اساء
يا ربوعاً كانت معاهد احـ   سان وحسن فاصبحت قفراء
وديارًا كانت منازل ا   ناس فاضحت بلاقعاً خلاء
وكراماً كانوا مناهل جود   لفقير فاصبحوا فقراء
امراء نادى الندى فاطا   عوه اميرًا لهم ولبوا نداء
وحسان قد جدن برًا كأن البرّ   ثوب يزيدهن بهاء
ساحة تنبت المكارم والرأ   فة والمجد والندى والاخاء
فنساء بها تباري رجالاً   ورجال بها تباري النساء
اوجهٌ يشرق السنا من   محياها فتزداد بالجميل سناء
رحن يزهون بالبياض فما امسيـ   ن الا كوالحاً سوداء
رمماً لم تدع بها النار الا   رسم جسم واعظماً جرداء
كن ناسا فصرن نارًا فاصبحـ   ن رماداً بها فصرن هباء
قد كفت لحظة لان تقلب الام   ر وان تجعل النعيم شقاء
فاستحال الهناء بؤساً واحزا   ناً واضحى ذاك السرور بكاء
نقمة صبها القضاء على الابرا   ر ظلماً ومن يردّ القضاء

رحم الله من قضى وشفى الجرحى   وعزى الباكين والتعساء

وقال يهني المرحوم حمد بن ثويني سلطان زنجبار بعيد الفطر

اذا لاح لي في الليل ايماض بارق   تذكرت ما بين العذيب وبارق
واذكر من ميل الحبيب وادمعي   مجر عوالينا ومجرى السوابق
هو الحب حتى ما تلوح ابتسامة   من البرق الا اسبلت عين عاشق
سقى الله اطلالاً عهدنا ربوعها   مغاني تلاقٍ من مشوق وشائق
فكم رتعت فيهن مقلة رامقٍ   وكم سعدت فيهن مهجة وامق
وكم لي في اثنائهن مواقف   بكل خليل في الصفاء موافق
صحبت ليالي اللهو في زمن الصبى   الى ان تبدى فجرها في المفارق
وكنت تركت الشعر لا عن ملالة   ولكن لاسباب عدت وعوائق
تقضت احاديث الكرام واظلمت   شموس الندى في غربها والمشارق
تساوى بنو الدنيا لدى ابن ملوكها   كما تستوي الاكام تحت الشواهق
ملوك بهم شمنا البلاد حدائقاً   وبابن الثويني زهر تلك الحدائق
هو الزهر لا يُسقى ندى الزهر في الفلا   ولكنه يَسقي الندى للخلائق
وغيث الوغى لكن بوارق رعده   بريق المواضي لا وميض البوارق
سكوب على الهيجاء يمطرها دماً   ولا صحب الا خفق تلك البيارق
وقطر ندى تنهلُّ بالجود كفه   ولا برق الا وعد اروع صادق
هو القمر المسعود في كل مطالع   هو الحمدُ المحمود من كل ناطق
فتى همه في الناس تأمين خائف   ونصرة ملهوف وارضاء طارق

فدتك ملوك لم يروا طرق الندى   وقد سرت من عليائها في طرائق
مدحتك اذ اضحى بك النظم لائقاً   وكان لقوم مدحهم غير لائق
وكنت ارى تلك المدائح سرقة   فصيرت صدقي فيك توبة سارق
ومن عجب اني اتوب لما مضى   واطلب اجر الصالحات اللواحق

وقال وقد اقترح عليه

الشعر في غير الغرام حرامُ   والوصف في غير الملاح ملامُ
والقلب في غير الصبابة جلمد   والعمر في غير الهيام منام
ياعاشقي الدنيا وبهجة مالها   جهلاً فتضحك منكم الايام
هلا انتبهتم للهوى فعلمتم   ان الحياة بدونه احلام
فالمرء جسم والفواد حياته   وحياة هاتيك الحياة غرام
خذ في شبابك ما يطيب من الهوى   واترك سواه فانه اوهام
فالمال ظل زائل لا يرتجى   لنعيم زخرفه عليك دوام
والمجد وهم باطل يمضي كما   يمضي سحاب في السماء جهام
هذا زمانك كله حرب ولا   يرجى بغير الحب منه سلام
يمضي النعيم به فيتلوه الشقا   ويسر فيه المرء ثم يضام
تتقلب الايام والحب الذي   في القلب ليس لها به المام
فهو العزاء اذا الملت نكبة   وهو الدواء اذا عرت اسقام
وهو السعادة حيث ليس سعادة   للمرء في هذه الانام ترام
وهو الاله له القلوب سواجد   وله يُصلى في الورى ويصام

اني شيت عليه فهو لمهجتي دين ومحبوبي لديه إمام
فاذا سجدت جعلته لي قبلة فيها الصلاة تحية وسلام

وقال في مثل ذلك

قد تقضى الشباب الا قليلا وتولى الهوى فصبرًا جميلا
واستراحت نفس المحب فما تسمع عذلاً ولا تعاصي عذولا
واستقرت محاجر كن للدمـ ـع عقيقاً وكان فيها سيولا
غير اني وان تقضى غرامي واستعضت السلو منه بديلا
لست انسى في ظله نعماً يذكر هن الفؤاد ذكرًا طويلا
من ليالٍ صحت لنا في ربى الزهـ ـر وكان النسيم فيها عليلا
ورياض كأنها قطع الوشـ ـي تجر الغصون منها ذيولا
وورود غارت حياء من الـ ـغيد فحاكت خدودها تمثيلا
ومياه جرت تخاطب حصـ ـباها فيحكي النسيم ما قد قيلا
وطيور كأنها نزل الوحـ ـي عليها فرتلت ترتيلا
وغمام بكى دموعاً فاضحت في كؤوس الازهار ثغرًا رتيلا
كان قطرًا ثم استحال الى در نظيم ولم يكن مستحيلا
حاك منها وشي الازاهر لما حاك فيه سيف البروق صقيلا
صارم ينحر الغمام ليغدو من دماه وجه الربيع غسيلا
رب يوم قطعته في رباها طاب فجرًا وبكرة واصيلا
حين باكرته على ضوء وعد من حبيب وما بعثت رسولا

صادق الحب منه أغنى عن الرسـ   ـل واضحى بما نروم كفيلا
فاتت تهتدي ولا نور الا الحـ   ـب ان الغرام كان دليلا
والتقينا فلو ترى ضمتي ضعـ   ـف ووجد ابصرت امراً جليلا
ثم ملنا كذا الى حيث لا نخـ   ـشى مقالاً ولا نخاف مقيلا
واتخذنا من العيون كؤوساً   وادرنا من الحديث شمولا
وبعثنا اللحاظ رسلاً فعادت   حاملات دموعنا اكليلا
فكتبنا بهن آيات حب   نزلتها قلوبنا تنزيلا
لغة لم نقرأ ولم تبتدي فيـ   ـنا وهيهات بعدنا ان تزولا
وضعتها العيون من عهد حـ   ـواء وكانت لها القلوب اصولا
كلمات بسيطة كلها معنى   ولا تلتقي لها تأويلا
لست تلقى بهن نحواً ولا صر   فاً ولا عاملاً ولا معمولا
محكمات الايات في مهجة الصـ   ـب فلا يبتغي لها تبديلا
نقشتها عين المهاة على القلـ   ـب فرددتهن عنها فصولا
ثم مالت بيل اردانها الدمـ   ـع كغصن لاقى النسيم بليلا
هو دمع الدلال في مقلة الحسـ   ـن يروّي غلاً ويذكي غليلا
فقضينا هناك امر الهوى العذ   ري وما كان امره مجهولا
واطفنا بكعبة الحب لا نأ   لو طوافاً بها ولا تقبيلا
وخلعنا العذار الا عفافاً   ونزعنا الحياء الا قليلا
وجرت بيننا واستغفر الله   امور تدعو الحكيم جهولا
وغصون تصدّ منا فلا نقـ   ـدر في صدها سوى ان نميلا

وغدير يبدي النفار هديرا ... وحمام يبدي العتاب هديلا
ونسيم لم يدر غير الذي يحـ ... ـمل من نشرنا وطاب حمولا
وترى الشمس اكمدت فهي صفـ ... ـراء غيور تريد عنا أفولا
فنهضنا وقد تركنا بيوت الله ... ومن بعدنا قفاراً طلولا
وخرجنا خروج آدم لكن ... ما عصينا ولا اتبعنا الضلولا
كان ما كان ثم ولى فلا ... تطلب له جملة ولا تفصيلا
وعد الله للمحبين عفواً ... انه كان وعده مسئولا

وقال يرثي احد الفضلاء وقد اقترحت عليه

اما ملء الزمان من الرزايا ... فاني قد مللت من الشكايا
لنا في كل يوم منه خطب ... وشر خطوبه خطب المنايا
هنالك لا ترد له سهام ... ولا تغني الدروع عن الرمايا
لعمرك كل ما في الارض فان ... ولا يبقى سوى باري البرايا
قضاء ليس تدركه وسر ... خفي لا تقاس به الخفايا
يذل لديه كل عزيز قوم ... ويعبس كل طلاع الثنايا
لكل بلية في الناس وقع ... على حسب المراتب والمزايا
وما مثل البلية في كريم ... تعم لهول وقعتها البلايا
لقد اسر الحمام اليوم شهما ... غدت مهج الورى منه سبايا
فسار ورنة الباكي عليه ... حداء والقلوب له مطايا
فتى جادت به الدنيا وكانت ... لراجي جوده احدى العطايا

واسله الزمان وليس بدع فقد اعدته انعمه السنايا
فضى الصبر الجميل غداة ولى جميل الخلق محمود السجايا
وما رد العلاء الموت عنه ولم تغن المذاكي والسرايا
ولا نفعته اجفان بواكٍ عليه في الاصائل والعشايا
ستندبه المعارف والمعالي وتبكيه المجالس والقضايا
فكم جلى بها من مشكلاتٍ صعاب ليس تدركها الروايا
وكم ابدى غوامضها القوافي فلم يترك خبايا في الزوايا
مضى ولرزئه صعقات موسى بسينا يوم انزلت الوصايا
وقد حجب الرجال لثام دمع وهتكت الخدور عن الصبايا
وحمل فقده الاقوام حزناً به استوت الموالي والرعايا
هوى في قصره من برج سعد الى قبر غدا سعد الخبايا
فاضحى القبر تحسده قصور واضحت تحسد الماضي البقايا

وقال في وصف موقف

أحبتنا هل ترى تذكرو ن لنا وقفة وسمانا تجودُ
وقد غابت الشمس عن افقنا ووجهكم لسناها يعيد
وجاد السحاب بذوب الحيا فخلى به الغصن عقد نضيد
ولاعبت الريح اثوابنا كما خفقت في القتال البنود
ونحن عن الناس في معزل تحف بنا من هوانا جنود
نسير فنحسب انا ملوك وان جميع البرايا عبيد
وانا ملكنا عنان الزمان فليس يريد سوى ما نريد

وانا دخلنا قصور الجنان وقد صمنا في بهاء الخلود
وقد كللتنا عقود السحاب اكاليل تخجل منها العقود
وفتحت الارض ازهارها واشبهنا غصنها اذ يميد
هناك بدت خافيات الغرام ومات العتاب وزال الصدود
وطاب ارتشاف كؤوس المدام بكف الهوى والسقاة الخدود
وكان الحديث لنا مطرباً بما ليس يفعل ناي وعود
وفاحت نسائم عرف العفاف كما فاح في الطيب ند وعود
ولاحت هياكل قدس الحبيب فطاب الركوع لها والسجود
وأبرم ميثاق عهد الوفاء بايدي الولا والزهور الشهود
فيالك من مجلس أشرقت شموس الهناء به والسعود
وغابت عواذلنا واختفى رقيب لنا وتوارى الحسود
الى ان نهضنا وجنح الغرام كجنح الظلام علينا يسود
نقول اذا كان للدهر جيد فليلتنا فيه عقد فريد
وان كان للناس عيد فهذي لكل بهاء من العيد عيد

وقال في حكاية حال

قل للغريبة عن اهل وعن بلدِ وعن صديق وعن قلب وعن كبدِ
وعن حبيب وعن دار وعن وطن وعن سرور وعن صبر وعن جلد
هل تذكرين ليالينا التي سلفت وليلة لست انساها الى الابد
سرقت فيها من الواشين خلوتنا ونلتها منك عن وعد يداً بيد

وبت لا ريبة نخشى بوادرها ... بها ولا عذلاً نخشاه من احد
والليل مرخ سدول السر يكتمنا ... عن اعين الناس من واش ومن رصد
وانت في ثوبك الناقي البياض على ... جسم نقي بنور الحسن متقد
والنور في معزل عنا له لهب ... يبدو ويخفى كفعل القلب ذي الحسد
ووجهك الابيض الباهي يزيد سناً ... على الظلام كنور البدر في الجلد
ارى عليه ضياء الحب منبعثاً ... يكاد يفضحنا في دارة البلد
اهوى الى رشف ثغر فيه منتظم ... يهدي لي النار من صفين من برد
وانت طوع يدي والوصل يجمعنا ... في بردة للتقى فاقت على البرد
وبيننا غزل رقت موارده ... كأنه نغمات الطائر الغرد
شكوى نقطعها ما بيننا قبل ... ولو اردنا سوى هذين لم نجد
يهفو الفؤاد على آثارها طلباً ... حتى يناديه صوت قف ولا تزد
صوت هو الطهر في لفظ العفاف بدا ... والطهر خير صفات النفس والجسد
حتى رجعت بجسم عنك مبتعد ... يشتاق عندك قلباً غير مبتعد
يا منهلاً قد تمتعنا بكوثره ... حيناً روينا به لو دام ري صدي
ما كنت ارضى وصالاً منك عن كثب ... فصرت ارضى خيالاً منك عن بعد

وقال في مثل ذلك

ترى عندكم للحب مثل الذي عندي ... وهل وجدكم بي مثلما بكم وجدي
وهل شوقكم شوقي وهل في جفونكم ... كما في جفوني من دموع ومن سهد
وهل تذكرون العهد بيني وبينكم ... فان فؤادي دائماً ذاكر العهد

رجعت الى سبل الهوى مذ رأيتكم … ولم أدرِ هل فيه ضلالي ام رشدي
واهديتكم قلبي على يـد ادمع … هي الرسل للعشاق تحمل ما تهدي
فلا ترجعوا ما قد اخذتم فانه … هدية حب غير مقبولة الرد
ولا تجزعوا من ناره ان ناره … سلام وان كانت مؤججة الوقد
فيا مهجتي كوني لديهم قريرة … فقد زال ما تشكينه من جوى البعد
ويا جسدي قد نال قلبك ما اشتهى … بهم فاسترح منه ومن ألم الصد
ويا قلب ان رمت السعادة فيهم … فمت ان موت الحب ضرب من السعد
خليليَّ ما للحب يستعبد الفتى … وما للفتى في الحب اطوع من عبد
وما للهوى يفني فؤاد اخي الهوى … ولو كان ذاك القلب من حجر صلد
تبارك خلاّق المحاسن انه … ينال بها ثأر الظباء من الاسد
يقلدهـا اجفانها ولحاظهـا … فتسطو علينا بالحسام وبالغمد
سقيمة جفن راح قلبي يعودها … ولم ادر ان السقم من جفنها يعدي
تتيه دلالاً ثم يغلبها الحيا … فيبدو كحبات الغمام على الورد
يميل فؤادي من تثني قوامها … وتندى جفوني من ندى ذلك الخد
فيا حسن ذاك الغصن يثني وينثني … ويا طيب ذاك الورد يندي ويستندي
عرفت الهوى من يوم باشرني الهوى … كأنا لدى الميلاد كنا على وعد
فؤادي على مهد الهوى وفؤادها … معاً غير انا ما التقينا على مهد
ولم انس ليلاً ضمنا فيه مجلس … رقيق حواشي الانس مؤتلف الوفد
وقد مازجت كأس الطلا خمرة الهوى … وطابت بلحن العود رائحة الند
ودارت كؤوس من جنى الكرم مزة … فلم يكُ احلى من جناها جنى الشهد

يرصعها نظم الحباب بلؤلؤه . كما دار حول الجيد منتظم العقد
وبات فؤادي في الهوى ينشد الصبا وبات مغنينا يغني على الرصد
ولا رسل الا اللحظ بيني وبينها ونحن سكوت لا نعيد ولا نبدي
كلام بلا نطقٍ وعهد بلا يدٍ وسمع بلا أذنٍ وشوق بلا بعد
سطور هوى من ثغر حواء أُنزلت على وجنة التفاح في جنة الخلد
ولما وعاها آدم هزه الهوى وانشد هذي ارث نسلي من بعدي
تراث تولاه الكرام من الورى فما حرمت منه سوى مهجة الوغد
وقد قسمت بين القلوب سهامه فمن كل ذي لحظ الى كل ذي كبد
فيالك من ليل محوت ظلامه بظالمة العينين عادلة القد
سقتني بعينيها الهوى وسقيتها ولم أُدرِ اني قد سكرت بها وحدي
الى ان بدت كف الصباح براية تلوح على جند من الليل مسودّ
وغابت مصابيح النجوم كانما طفاها نسيم الفجر من فمه الوردي
فقمت وقد سلمت للحب مهجتي وقضيت في شرع الهوى واجب الود
وقاسمت من اهوى فؤادي والهوى فكان فؤادي عندها والهوى عندي

وقال ايضاً

لا تسألوا عن روحي البدنا ان كان من قتل الهوى فانا
ما حال من سلب الهوى دمه وفؤاده والصبر والوسنا
صدوا فما تركوا له سكناً ونأوا فما تركوا له وطنا
كتم الهوى زمناً فباح وما اجداه كتمان الهوى زمنا

جارت عليه لحاظهم فشكا . سرًا وزادت فاشتكى علنا
قد كان يعشق ساكني دمن . واليوم اصبح يعشق الدمنا
يهوى المساكن عند وحدته . من كان يهوى بينها سكنا
وبمهجتي حسناء ما تركت . في العين شيئًا بعدها حسنا
الحاظها للحب قد عقدت . سوقًا فكانت روحي الثمنا
تركت فؤادي طائرًا غردًا . لما ثنت من قدها غصنا
ياحسن ليل قد خلوت بها . فيه سوانا لم يكن معنا
والروض قد فاحت ازاهره . تحنو علينا من هنا وهنا
كلمتها همسًا فما نطقت . الا بلحظ ان رنا فتنا
اوحى الى قلبي معانيها . لكنها لم تدخل الاذنا
حتى انثنت والسكر يعطفها . كالريح هزَّ نسيمها فننا
كشف المدام عن الهوى فبدا . واثار خافي الحب فاعلنا
وسطا على اسرارها فحكت . وازال خجلة طرفها فرنا
قالت اموت على هواك فلا . تجمع عليَّ الحب والشجنا
يابردَ ما قالت على كبدي . لو كان يخلص في الغرام هنا
غري الرقيب بنا واي هوى . يصفو وقد غري الرقيب بنا
وافى فكدر صفو ليلتنا . وسعي فكدر بعدها غدنا
ووشى فابعد قربنا حسدًا . وبغى فهدَّم بيننا وبنى
غلب الغرام على وشايته . فينا فابعده وقرَّبنا
واعدت طرفي في محاسنها . فلقيت ثم جناية وجنى

ودنت اليَّ لحاظها فانا ... منهن بين منية ومنى
ورجعت اذكر طيب موقفنا ... ولو ان في ذكرى الهناء عنا
وحلفت اني لا أُفارقها ... حتى نفارق روحي البدنا

وقال

حلفت لو اني كنت في الناس سائلاً ... ادور واستعطي بقارعة السبلِ
لاعطيتها الزاد الذي انا جامع ... طعاماً للبلي ثم بت بلا أكلِ
ولو كنت ذا حقل يعيش بزرعه ... لطبت لها نفساً عن الزرع والحقل
ولو كنت ذا مال بخيلاً بماله ... لاعطيتها مالي وتبت عن البخل
ولو كنت ذا عقل يعيش بعلمه ... فبملي وكف الدهر تكتب ما يملي
لاعطيتها العلم الذي هو زينتي ... واعطيتها عقلي وعشت بلا عقل
ولو كنت نابوليون في عز نصره ... لاعطيتها النصر الذي حزت بالنصل
ولو كنت مهزوماً وقد حمس الوغى ... على فرس بين الفوارس والرجل
لاعطيتها المهر الذي انا راكب ... واسلمت نفسي للصوارم والنبل
(ولو كنت يوماً مخبراً لجريدة ... ونقل مهمات الاحاديث من شغلي)
(لاعطيتها خير الذي قد نقلته ... وعدت بباقيه على صحف النقل)
ولو كنت قاضي الشرع والعدل سيرتي ... لاعطيتها شرعي وملت عن العدل
ولو كنت مسجوناً (بمرصود حوضهم) ... وقد حان لي يوم الفكاك من الغل
لضاعفت حكم السجن ان رضيت به ... وابقيت ان شاءت قيودي في رجلي
ولو كنت خواراً اخاف من الردى ... لاعطيتها روحي ولم اخش من قتلي

ولو كنت في اهل كرام اعزة ذوي ثروة اموالهم عدد الرمل
لطبت لها نفساً عن العز والغنى وعشت شريداً عن دياري وعن اهلي
ولو كنت أماً حين شب وليدها وحيداً عليها وهي فاقدة البعل
لاعطيتها ابني تقضي فيه بما ترى وذقت مرارات الفراق او الثكل
اجود بهذا وهي بالوصل لم تجد عليّ ولا شيء اقل من الوصل

وقال في وصف القمر

اذا ملئت من البدر العيونُ وهاجت منه او سكنت جفونُ
واقبل في منازله انتقالاً يحف به من الليل السكون
رأيت بدائع الافلاك تجلى بما يجلو بـه الهم الحزين
وسار البدر يسبح في سماء عليها من كواكبها سفين
تمر بـه السحائب مسرعات فيخفى تحتهنّ ويستبين
كخود اقبلت في الروض تسعى فتظهر ثم تحجبها الغصون
تقابل وجهه فيلوح فيـه لصورة وجهك الرسم المبين
فتحسب منه ان هناك ماء ولا ماء هناك ولا عيون
ولا نبت عليه ولا حيـاة ولا نسم ولا غيث هتون
جنازة ميت لا نعش فيها ولا ايد حمان ولا انين
قرين الارض ليس يغيب عنها ولكن لا يواصلها القرين
يدور بها ولكن حين يدنو يفر فلا يجيب ولا يلـين
كمعشوق يداعب ذات خدر فلا يعطي الوصال ولا يبين

فكم بسمت لمرآه ثغور ... وكم سالت لمرآه شؤون
وكم ذكر المحب به حبيباً ... وكم نسي الخدين به خدين
وكم نظر المشوق به جمالاً ... وابصر وجه درهمه الضنين
وكم شكت العيون اليه وجداً ... الى ان اصبحت شكرى العيون
تحدّق فيه لم تطرف بجفن ... كأن العين ليس لها جفون
وتصفر النجـوم اذا تبدى ... كما يصفرّ من حسد جبين
يسير فتختفي من جانبيه ... نوافر وهو مجتاز رزين
كما طلع المليك عليه تاج ... فاطرقت الوجوه له تدين
كأن كواكب الافلاك در ... تبدى بينها حجر ثمين
له من شمسنا جزء منير ... وليس لنا به جزء سخين
حبته مع الضيا حرّاً فاعطى ... ضياه نعم ما ادى الخؤون
فيا شبه الحبيب حويت منه ... بهاه وفتنا منك الفتون
وقاك الله كم تفني قروناً ... ولا تفني محياك القرون
وكم تحيي الظلام وانت ميت ... وكم تعلو النجوم وانت دون
حويت عجائباً فدعاك قوم ... الهاً حبه في الناس دين
تخبرهم باعداد الليالي ... ويلزمك السكوت فما تبين
وتصدقهم وفيك النقص طبع ... وعهدي كل ذي نقص يمين
لنا في كل شهر منك شك ... ولكن ليس يمهله اليقين
لو ان نظير شكك كل شك ... لما طالت بصاحبها الظنون
كأنك في هلالك نصل سيف ... اجادت صقل صفحته القيون

تقطع منك اعناق الليالي ... وليس سوى الانام لها وتبين
ترى فيك البداءة كيف كانت ... قديماً والفناء متى يكون
وهل يبقى الوجود بلا فناء ... وهل تعفو عن الشهب المنون
كوائن ليس يدري السرَّ منها ... سوى من امره كاف ونون

وقال في تذكار مصر

زر ارض مصر وقف على ربواتها ... واحفظ فؤادك من ظبى ظبياتها
وتوقَّ انفاس النسيم فانها ... ممزوجة بالحب من غاداتها
ارض كساها النيل زخرف وجهه ... واعار برد مياهه نسماتها
فبدت كأن الارض وجه مليحة ... وكأنها خال على وجناتها
لله روضتها وقد حيي الصبى ... اغصانها فحنت له هاماتها
وتحدثت امواهها فوق الحصى ... توحي لطير اراكه نغماتها
والارض من ظل الغصون كأنما ... نثرت دنانير على جنباتها
ولقد جلست الى الغزالة ساعة ... غفلت بها عنا عيون وشاتها
واللحظ ينطق والشفاه صوامت ... لغة تخطُّ عيوننا كلماتها
حتى اذا طفح الغرام ولم تعد ... كلم العيون تفي بوجداناتها
عاتبتها فتحدرت من جفنها ... درر وددت اكون من قطراتها
ورنت اليَّ فقابلتها ادمعي ... فكأنها نظرت الى مرآتها
ان القلوب غصون ارباب الهوى ... ومدامع الاجفان من ثمراتها
فاذا جرى فيها نسيم صبابة ... نثرت ثمار الوجد من عبراتها

دمع تراه مقلتي في خدها ماء ونفسي منه في جمراتها
ضدان قد جمعا به وكذا الهوى فيه السعادة مازجت آفاتها
لكن كما تهوى الصبابة انني لا اتقي فيه سوى لذاتها
تعذيبها عذب يروق وروده عندي فكيف العذب من حالاتها
سكر الفؤاد بها باقداح من الاحداق دار السكر في داراتها
يسعى بها قمر لو ان نجومنا منه لكان البدر من هالاتها
فصفحت في سكري بخمرة حبه عما اساء اليَّ من هفواتها
هيهات ما الدنيا ليذكر ذنبها وسعادتي بلقاك من حسناتها
لقيا اخال الارض دارة درهم فيها وكل العمر من ساعاتها
حتى لاحسب ان نفسي في ربى جناتها والخلد بعض حياتها
واظن صرف الموت الين جانباً من ان يكدر بيننا خلواتها
واقول دعنا ياممات وعج الى نفس ترى راحاتها بمماتها
كم من نفوس تشتهيك حزينة تدعو وتبسط في الدعا راحاتها
فالى دعاتك فاستجب كرماً ودع اهل الصبابة عنك في جناتها

وقال في تذكار الصبى

ما كان ضرك لو سررت حزينا وشفيت داء في الفؤاد دفينا
ووفيت بالانجاز دَين مواعد أبلين صبر فؤاده وبلينا
هيهات كم من مدنف اودى به داء اذا كان الدواء ثمينا
ولكم غني بات يطوي جاره فقراً اذا كان الغني ضنينا

لله كم من ليلة بتنا بها ... نفني الدجى وسهادها يفنينا
تتمثلون لنا فنبسم للهوى ... حيناً ونذكركم فنبكي حينا
لم تجن اعيننا جواهر ثغركم ... الا واعطينا الذي أعطينا
نرعى نجوم الليل وهي ثوابت ... تجري مدامعنا ولا يجرينا
طال الظلام لانهن ثوابت ... ام طال من برح ثوابت فينا
حلف الغواني لا يعدن بحلفة ... الا حلفن على الخلاف مئينا
منيننا حتى تعلقنا الهوى ... فنزحن عن دار الهوى وبقينا
وغلبننا اذ كن افتك لحظة ... واشد ادلالاً واوثق دينا
نرعى المواثق حين لا يرعينها ... ونفي المواعد حين ليس يفينا
يشفي الملام قلوبهن من الهوى ... ويزيدنا وجداً ولا يشفينا
خانت لواحظها على قرب المدى ... قلباً على بعد المزار امينا
ان الذي خلق المنون اباحها ... فينا وارسلها فكن عيونا
لم يكفهن الحسن وهو مبرح ... حتى اكتحلن فزدنه تحسينا
يا حبذا تلك الديار لو انها ... ردت تحيتها التي تحيينا
تلك الربوع وقفت فيها ساعة ... فذكرت اياماً بها وسنينا
ايام كنت بها رشيداً هادياً ... للحب مهديّ الهوى مأمونا
تعطي الغواني ما اشاء وربما ... حكمتهن فنلن بي ما شئنا
يا جيرة في الحي نذكر عهدكم ... ما كنت احسب انكم تسلونا
كم قد شقينا فبكم ونعمتم ... فينا وكم متنا بكم وحيينا
هل تحفظون من المواثق موثقاً ... ام تذكرون من العهود يمينا

ام تذكرون مواقف انطلقت بها   ابصارنا وتعاقدت ايدينا
وعلى جبينك والخدود من الحيا   نقط تزين الورد والنسرينا
برح الخفا فعلمت ما ابغيه من   سر الهوى وعلمت ما تبغينا
وبدا الغرام فكان ما ادريه من   سر اللقاء وكان ما تدرينا
سر تحمله النسيم فكاد من   رياه ان يفشو به فينا
ويكاد ينشقه الخليّ من الهوى   فيعود منه متيماً مفتونا
ويكاد عاذلنا يشم اريجه   فيظن فينا يا سعاد ظنونا
لا تنكري تلك المواقف بعد ما   قبلت فيها وجنة وجبينا
قبل لو انطبعت كما شاء الهوى   لبقين رسماً في الجبين مبينا
والليل يسعدنا فننشر تحته   سرّ الهوى وظلامه يطوينا
والشهب ساهرة حسبت عيونها   ترنو اليك فكدت تستحيينا
والبدر مطلع يحاول كشفنا   تحت الغصون وظلها يخفينا
والريح تعبث بالرياض عليلة   فتخال هينمة النسيم انينا
والارض زينها الربيع فزادها   طيباً وزاد بساطها تلوينا
والايك يطربه الخرير فتنثني   اغصانه طرباً وترقص لينا
والروض قد زان الندى ازهاره   فكانهن لواحظ يبكينا
ايام انس قد فنين وليتنا   كنا فنينا يوم كن فنينا
ولت وما تركت لنا اثراً سوى   ذكرى تزيد بها القلوب شجونا
امرضت يا ذكرى الغرام قلوبنا   وقد انقضى عهد الهوى فدعينا
قد كنت تجدين الوصال اذا الهوى   باق فانت اليوم لا تجدينا

نبغي السلوّ ونحن نذّكر الهوى فنزيد بالذكرى الهوى تمكينا
هيهات يسلو القلب عهد غرامه ان القلوب اذا هوين هوينا

وقال يصف سيدات هذا العصر في المركبات

مَن بدورٌ تسير في المركباتِ ومن القبعات في هالاتِ
كالمتها ازاهر الصنع من نبـ ـت الايادي لا من ايادي النبات
اقحوان يفاخر الثغر في الحسـ ـن وورد يفاخر الوجنات
زهرات ماحاكها ابن سحاب في ربى الروض بل بنان البنات
قد عداها طيب الازاهر لكن قد عدا الزهر ما بها من ثبات
ان يكن فاتها الاريج فقد عوضن عنه روائح الغانيات
او يكن فاتها رياض جنان فهي فوق الرؤوس في جنات
او عدتها الغصون فهي على مثـ ـل غصون الربى من القامات
كل هيفاء تفضح البدر في الحسـ ـن وظبي الفلاة في اللفتات
سائرات جوالس فهي لم تعـ ـجل ولكنها على عجلات
مفردات الجمال تنطلق الخيـ ـل فرادى بها ومزدوجات
وكأن الجياد تشعر بالحسـ ـن فتجري بهن مفتخرات
قد درت انها تجر بدوراً فتبارت كالانجم السائرات
مسرعات ترى الدواليب من سرعتها في مرورها ثابتات
ويدور النسيم في الريش فوق الر ؤوس حتى تخالها طائرات
وقلوب العشاق تتبع الغيد تباري افراسها الجاريات

تحوم الابصار تنهب الحسـ ن انتهاباً من اعين ناهبات
وتضل العيون بين جمالٍ وجمال فتغتدي حائرات
صاح هذي هوادج الحضر اليو م نخلْنَ الهوادج الباديات
ودع النوق والفلاة فلا نوقاً باحيائنا ولا فلوات
ودع العيس والحداء لقوم ألفوا عيسهم وزجر الحداة
تلك حال مرت قديماً وذي حا لٌ وسبحان مبدل الحالات
انما عيسنا سوابق خيل ولدينا هوادج المركبات
فهناك الجمال تأخذه العيـ ن جلياً ويأخذ المهجات
وهناك الدمى تباح للحظ الطر ف لكنها من المحصنات
حسنات العصر الذي كله نو ر يجلي غياهب الظلمات
ان يسوئنا الماضي فقد سرَّ آتٍ فاغتفر ما مضى بما هو آت

وقال ناظماً حكاية

هيفاء زين خدها ورد الصبى فتمايلت كالغصن حركه الصبا
حسناء طاهرة كزهرة روضة ما مسها غير النسائم والندى
بيضاء يحدق شعرها بجبينها فتريك عين الصبح في وجه الدجى
نشأت وحيدة اهلها في قرية كالزهر ينشأ زاهياً بين الربى
لم تدر غير الحقل والنبت الذي يزهو عليه ووردهُ الغض الجنى
والشمس غاربة تودعها متى غابت وتلقاها متى لاح الضحى
والبدر تنظره فتحسب رسمها فيه ويحسب رسمه فيها بدا

وقفت على باب الخباء عشية ... كالشمس قد وقفت على افق الضيا
وجرى النسيم بها يلاعب شعرها ... حيناً فيخفق مثلما خفق اللوا
واذا بوقع حوافر في قربها ... وفتى على سرج الجواد قد استوى
ذو قامة هيفاء تزري بالقنا ... ولواحظ نجلاء تزري بالظبى
وقد انتضى سيف القتال وجفنه ... امضى وافتك مقتلاً مما انتضى
وعلى ملابسه الحلي لوامعاً ... كالبدر في زهر النجوم قد انجلى
وافى فحيا باسماً متلطفاً ... ودنا لها مستسقياً يشكو الظما
فمضت لجاءته بكأس وانثنت ... ترنو لطلعته كما ترنو المهى
ترنو اليه وهو يشرب باسماً ... حتى ارتوى واللحظ منها ما ارتوى
يحسو الشراب وتحتسي من حسنه ... خمراً بها قلب الفتاة قد اكتوى
حتى اكتفى فاعاد كأس شرابه ... مملوءة بعد المياه من الثنا
ومضى فودعها واودع قلبها ... بدلاً لبرد شرابها حر الجوى
دخل الهوى قلباً خلياً لم يكد ... يدري الهوى حتى تملكه الهوى
فقضت سواد ظلامها في ظلمة ... لليأس يوشك لا يضيء بها الرجا
يهفو النعاس بجفنها فيرده ... ممن تملكها خيال قد سرى
حتى اذا انجاب الظلام واشرقت ... شمس الضحى تزهو على افق السما
وافى رسول من حبيب فؤادها ... بهدية تهدى لربات البها
مرآة وجه قد تكلل حرفها ... من فضة بيضاء زادتها صفا
فدنا وقال هدية من سيدي ... تهدى لسيدتي وسلم واثنى
كانت جزاء للشراب وليت لم ... يكن الشراب ولم يكن هذا الجزا

فلقد سبا قلب الفتاة صبابة   وهوى لذياك الجميل وما درى
وجرت مدامعها بذوب فؤادها   شوقاً اليه وليس يعلم ما جرى
كالقوس أُطلق سهمها لجنى ولا   لوم عليه فليس يدري ما جنى
ترنو الى مرآته فترى بها   تذكار طلعته وطلعتها سوا
فتزيد بالتذكار نار غرامها   وتزيدها نار الغرام من الضنى
ما زال يذكيها الهوى و يذيبها   حتى غدت شبحاً ارق من الهوا
وهوت على مهد السقام عليلة   تشكو الذي يبدو وتكتم ما اختفى
حار الجميع بها فلم يدروا لها   داء تكابده ولم يدروا الدوا
واقام يندب والداها حسرة   واسى وما يجدي التحسر والاسى
والبنت كاتمة حقيقة دائها   وتقول لا ادري فذا حكم القضا
حتى اذا بسط الممات جناحه   من فوقها ودنا ينازعها البقا
والنزع يجذب نفسها من صدرها   فترده عنها الغضاضة والصبى
وذوو قرابتها حواليها وقد   عجزوا فليس سوى التأسف والبكا
والشمس قد غابت تودعها كما   كانت ولكن لا تقول الى اللقا
سمعت بقرب الباب وقع حوافر   ورأت حبيب فؤادها منه اتى
وافي ولكن بعدما انقطع الرجا   ووفى ولكن حين لا يجدي الوفا
ودنا اليها وهو لا يدري الذي   اجراه سيف لحاظه فيما مضى
وحنى عليها وهو يسأل جازعاً   ويقول كيف اصابها سهم الردى
فرنت اليه بمقلة فتانة   وكسا اصفرار جبينها ورد الحيا
وتنهدت اسفاً وقالت ان بي   سهماً اصاب القلب من عيني فتى

هذا هو الداء الذي اقضي به ... حباً وكم من عاشق قبلي قضى
فاجاب من هذا الفتى فتناولت ... مرآته يد يصافحها الفنا
ورنت وقالت عند ما يبدو الضحى ... وتكون روحي فارقت هذا الورى
ان شئت تعرف من قضيت بحبه ... انظر الى المرآة تلقاه هنا

قال وقد ارسلها الى صديق

أتذكرها وقد فني الشبابُ ... ومرَّ بك الزمان المستطابُ
وأشرق في قذالك صبح شيبٍ ... يكاد عليه يبيض الخضاب
مضى لك في الصبى عيش رغيد ... يحق عليه نوح وانتحاب
زمان كيف ملت رأيت فيه ... لذاذاتٍ مواردها عذاب
تناظرك الكعاب به زماناً ... وتصبيها فتصبيك الكعاب
حياة المرء في الدنيا شباب ... فما تجدي اذا رحل الشباب
ومازهر الشباب سوى حبيب ... يسرك منه ودٌّ واقتراب
لقد بان الحبيب فبان قلبي ... اليه وليس لي منه اياب
يرد عليَّ بعض سواد قلبي ... اذا ما جاءني منه كتاب
حبيب يستضيء البدر منه ... ويُستسقى بطلعته السحاب
يزيد على تراخي الدهر وداً ... اذا ما خانت الود الصحاب
فلا يثنيه عن حب بعاد ... يطول ولا يغيره اغتراب
افض كتابه فافض مسكاً ... وانشره فينتشر الملاب
وانظر في سواد الحبر منه ... بياض مودة لا تستراب

وبعض الحب صاحبه جميل ... به والبعض صاحبه يعاب
اليك رسالة عذراء جاءت ... يسترها من الخجل النقاب
ترجي ان يكون لها قبول ... وارجو ان يكون لها جواب

وقال في مثل ذلك

ياغائباً عن مقلتي وعياني ... وممثلاً في مهجتي وجناني
يا صاحب الخلق البديع كأنه ... نشر الخزامى او سلاف الحان
فارقتنا وكأن شخصك حاضر ... ومن العجيب تباعد بتدان
وتركتنا نهفو لانفاس الصبى ... اذ قد حوت منك الغداة معاني
ما كان اقصر مدة انست بها ... منك العيون فتلك وصل غواني
كرّت ولكن لم تطل فكأنها ... طيف الخيال يلذ للوسنان
لو ان ايامي تفي ثمناً بها ... لبذلت ساعاتي لها بثواني
او ان عمر المرء طوع بنانه ... لجعلتها عمري وقلت كفاني
هيهات ما عمر الفتى الا الذي ... قد سر والباقي فضول زمان
ومدى السرور قصيرة ايامه ... فالعمر اقصر غاية الانسان
ما ضرنا ان كنت عنا نائياً ... وجميل لطفك كل يوم دان
تأتي رسائلك الحسان كأنها ... عقد اللآلي في نحور حسان
عقد تحلى منه اجياد النهى ... فتفوق اجياد المهى بجمان
تسبي بلاغتها العقول كأنها ... من بعض ما خطت يدا عثمان
ويقيد الابصار عذب كلامها ... ببيان سحر او بسحر بيان

هي نائب عن حسن شخصك بيننا ‍‍‍‍‍ مثل الثمار تنوب عن اغصان
يا ايها البدر الذي فارقتنا ‍‍ وكذاك شأن البدر في الدوران
ان كنت قد اوحشت انس ربوعنا ‍‍ فالله اسعفنا ببدر ثان
بدر يقوم لنا مقامك نائباً ‍‍ ان عزّ ان يتجمع القمران
لا زال ترعاه السعود ولا تزل ‍‍ ترعاك عين عناية الرحمن

وقال يصف طرق الحديد وقطراتها وهي من اوائل شعره

تخلَّ عن التشبيب بالبيض والسمرِ ‍‍ ودع عنك تشبيه المحاسن بالبدرِ
وعج بي الى طرق الحديد ووصفها ال ‍‍ جديد ودع ما مر من قدم الدهر
ففيها يروق الوصف وهو حقائق ‍‍ وفيها يحق النعت لا مذهب الشعر
وعنها يصح القول ان قيل بارق ‍‍ يشق الفلا لا عن جواد ولا مهر
فطير بلا ريش وطود بلا بقا ‍‍ وبرق بلا جو وهاد بلا فكر
بلى هي طير والبخار جناحه ‍‍ وطود اذا شبهت بالطود ما يسري
وبرق ولكن الدخان سحابه ‍‍ وهاد له لب توقد عن جمر
يسير فما تدري لسرعة سيره ‍‍ أتجري لديه الارض ام فوقها يجري
وللريح حوليه حفيف كأنه ‍‍ حفيف جناح الصقر حن الى الوكر
اذا سار ثارت فوقه راية من الـ ‍‍ دخان لتنبي انه ملك القفر
تمزقها الارياح حنقاً كأنها ‍‍ تحاول في تمزيقها الاخذ بالثأر
لعمرك ما هذا بهادي البلاد بل ‍‍ هو القائد الهادي الى العز والنصر
يمد بارجاء البلاد طرائقاً ‍‍ هي الكتب للاسعاد سطراً على سطر

ولو انصفت كانت سطور مدائح ... لمنشئه الباقي المحامد والذكر
وهيهات ان توفى مدائح مائت ... مضى وهو حي الذكر في صحف العصر
فلا برحت مصر تسود بظله ... عسى ان تغار الشام في ذاك من مصر

وقال وقد ارسلها الى بعض اصحابه

هجر المحب وما جفاه حبيبهُ ... لكنه خشي الغرام يذيبهُ
واذا الفتى لم ينج من خطر الهوى ... في بدئه سدت عليه دروبه
هيهات ما للعمر غير شبابه ... مهر وليس سوى الغرام ركوبه
قد كان طيب القلب من طيب الصبي ... واليوم قد ذهب الصباء وطيبه
ولى كخافية الغراب سواده ... وبدا كقادمة الحمام مشيبه
لا تعجبوا اني سلوت عن الهوى ... لو دام لي قلبي لدام حبيبه
صحب الزمان فاتعبته صروفه ... والدهر ليس بسالم مصحوبه
يا من عشقت بلا رقيب حسنه ... وغفلت عن ان الزمان رقيبه
ان كان شخصك في العيون بعيدها ... فمثال شخصك في الفؤاد قريبه

ومنها

جاءت رسائلك التي جادت لنا ... بصحيح در دونه مثقوبه
انست بزورتها العيون فاشبهت ... قلب المحب يزوره محبوبه
ويلاه قد ضاع الزمان ولم يكن ... غير التعلل للفؤاد نصيبه
لا بأس من تفريق شمل في الهوى ... ان كان قد جمعت عليه قلوبه
قد كان ذنب الدهر في تفريقنا ... والدهر تغفر باللقاء ذنوبه

وقال من قصيدة يصف بها لبنان وكان اليه كثير الحنين

قف في ربى لبنان بين وهادهِ … واقرا السلام لاهله وبلادهِ
جبل بارض الشرق قام وفوقه … قد قامت الاطواد من افراده
انقى نفوساً من بياض ثلوجه … واسخ جوداً من مسيل عهاده
واشد من اساده واشم من … اطواده واعز من انداده
قوم لهم عمن سواهم رفعة … مثل ارتفاع الطود عن انجاده
جمعوا اليراعة والقنا فمخضب … بدمائه هـذا وذا بمداده
حازوا الفخار قديمه وحديثه … والمجد بين طريفه وتلاده
وتفردوا بالحسن في غزلانه … يزهو وبالاحسان في آساده
شوقي الى تلك الديار واهلها … شوق المريد الى بلوغ مراده
طبع الزمان على العناد وقد رأى … من عجزنا ما زاد طبع عناده
فيدوم لا ينفك قائد طوعنا … وندوم لا تنفك طوع قياده
ندعى بنيه على الخطاء ولم نجد … من والد يقسو على اولاده
يقضي الذي يرضى وكل فتى به … يرضى بما يقضيه رغم مقاده
من ليس يمتلك العتاد لدفع ما … يؤذيه فالتسليم خير عتاده
عودت نفسي الصبر حتى هان لي … والمرء قد يحلو لدى معتاده
واذا فؤاد فتى تصبر مكرهاً … فالفضل للاكراه لا لفؤاده

وقال وقد ارسلها الى خاله الشيخ ابرهيم اليازجي

«وهي من اوائل شعره»

الدهر بين مسائه وصباحه ... والمرء بين غدوه ورواحه
والعمر بينهما يمر كأنه ... سكر الطروب على سلافة راحه
لا يستفيق اخو الصبى لفساده ... حتى يحول العجز دون صلاحه
وشبيبة الفتيان مهر جامح ... والعقل خير شكيمة لجماحه
ولقد خبرت هوى الصبى فوجدته ... ما بين حب مدامه وملاحه
ان المتيم في هوى احداقه ... مثل المتيم في هوى اقداحه
سكران ما النصح المقيم عليهما ... حتى تكون النفس من نصاحه
خذ من شبابك وهو روض زائل ... حسن الفعال فتلك زهر اقاحه
واعلم بانك ما غرست به الرضى ... الا جنيت الشكر من ادواحه
يامن يعلل بالاماني نفسه ... حتى تراه كواثق بنجاحه
درج الزمان على العناد فلا تكن ... ممن يقاومه بغير سلاحه
وسلاحه صبر يقيك صروفه ... ويرد حد سيوفه ورماحه
ما لي احض على مقاومة الاسى ... وانا الذي قد ذبت من اتراحه
وشكيتي شوق اقام بمهجتي ... برح التبصر فيه دون براحه
شوق الى من لا اراه وانما ... لم يخل قلبي قط من اشباحه
هـذا خليل الله خط بقلبه ... ما خطه موسى على الواحه
متفرد في الشرق يسطع نوره ... في الغرب بين جباله وبطاحه
كالضوء يصغر جرمه في نفسه ... ويفيض عنه النور من مصباحه

ورث العلوم وزادها من عنده ... كالمال زيد عليه من ارباحه
ذو فكرة تجلو المشاكل مثلما ... يجلو ظلام الليل نور صباحه
وله اذا ما الامر اغلق بابه ... قلم ينوب لديه عن مفتاحه
يا ايها الشهم الذي اوصافه ... تغني المشير اليه عن افصاحه
مني اليك رسالة ضمنتها ... شوقاً يضيق الطرس عن ايضاحه
وختمتها بمديح فضلك فهو قد ... اضحى لسان الدهر من مداحه

وقال في صديق له بارع في صناعة التصوير

يا راسماً رسمت يداه بمهجتي ... من حسنه ما لا تزول سطوره
صورت نفسك في الفؤاد فكنت لي ... رسماً يلوح بنور وجهك نوره
لا بدع ان احسنت تصوير الورى ... فالبدر يكمل اولاً تدويره
من للطبيعة ان يحاكي فعلها ... فناً ظفرت به وانت اميره
تمضي العيون وليس يمضي اثرها ... منه ولو طالت عليه دهوره
كمآثر العلماء يخلد ذكرها ... ويزيدها طول المدى وكروره
كفلت يداك لنا بقاء رسومنا ... فكأننا بعث وكفك صوره
ما جال طرف عنه رسمك شاخصاً ... الا رأى روحاً تكاد تديره
هذا هو الفن الذي عجز القوى ... عنه وليس سوى البنان نصيره
ولقد رأيتك نلت فيه غاية ... حسب المقصر دونها تقصيره
فاعذر لواصفها بما هو دونها ... من شعره فضعيفه معذوره
وكفاه ان قد رام في منظومه ... وصفاً يقصر دونه منثوره

وقال في رثاء احدى السيدات

هو الموت حتى مَ نجاذبه العمرا — وفي يدنا الدنيا وفي يده الاخرى
تمر بنا الايام اضغاث حالمٍ — ونصبح لا عيناً لدينا ولا اثرا
لعمرك كم في الارض من آية لنا — تبدت ولكن الردى الاية الكبرى
هو الغاية القصوى وافراسها الملا — فلا فرق فيها بين داحس والغبرا
اذا ما اختبرت الموت الفيت طَعمه — على من قضى حلواً وفي اهله مرا
الى الله تمضي من مضت من ربوعنا — وقد خلفت ما بيننا اجمل الذكرى
تولت لها ثوب من الصون طاهر — واكثر من اثوابها نفسها طهرا
وعاشت اعف الناس نفساً وشيمة — واكرمهم ذكراً واشرفهم قدرا
واسبقهم نيلاً لكل مبرة — وان تكُ لم تعدو بايامها الخدرا
لقد برزت للمجد في كل غاية — ولكنها من عفة ارخت السترا
فان تك قد ولت فقد خلفت لنا — كراماً بدت اخلاقهم انجماً زهرا
فكانت لدينا كالسحاب اذا انقضى — على روضة خضراء اعقبها زهرا
وسارت على طرق الهدى فاهتدت بها — الى واعد للائذين به نصرا
وقد خلعت بيض الايادي على الورى — وفي جنة الخلد اكتست سندساً خضرا
على وجهها الميمون كل تحية — من الله تتلوها الملائك اذ تقرا

وقال وهو في القاهرة يذكر الاسكندرية ويصف بحرها

سلام على الاسكندرية من نائي — يحنُّ باصباح اليها وامساء
سلام على تلك المنازل انها — مراتع ايناسي ومربع نعمائي

سلام على تلك الديار واهلها ... وما ثم من روض نضير وافياء
ولله ذاك البحر عند هياجه ... يروح بازباد ويغدو بارغاء
عليه جبال من حديد سفائن ... ومن موجه الطامي جبال من الماء
تراه لدى الانواء جيشاً عرمرماً ... وعند سكون الريح مرآة حسناء
وددت لو اني بعت اسود ناظري ... فدى مقلة من ذلك الماء زرقاء
واني رهنت القلب بين رماله ... مقام حصاة فيه ما بين حصباء
أحبتنا من لي بطيف خيالكم ... فقد عزَّ مرآكم على مقلة الرائي
ومن لي بهاتيك الليالي التي انقضت ... على لحن اوتار وكاسات صهباء
لئن فرقت ايدي النوى جمع شملنا ... فما فرقت ما بين حب واحشاء
وان فاز واشينا بشيءٍ من النوى ... فقد فزت منكم ياسعاد باشياء
هويتك حتى كاد يمزجنا الهوى ... كمزج الحيا والحب في خد عذراء
وقبلت ذياك الجبين كأنني ... أقبل تحت الليل مشرق اضواء
وطوقت ذاك الخصر بالساعد الذي ... وددت له لو انه كل اعضائي
ومازجت انفاسي بانفاسك التي ... نظمت بها شعري واحسنت انشائي
وداويت داء القلب منك بنظرة ... كما يتداوى صاحب الداء بالداء

وقال يصف دمشق على السماع وقد ذكرها له احد الفضلاء الراجعين منها واقترح وصفها عليه

سقى الله من وادي دمشق مراتعا ... جنينا بها زهر المسرة يانعا
وحيى ليالي الانس في حيها فكم ... جلونا بها بدراً من الحسن طالعا

بدور حسان ما لهن مغارب ... فلست ترى فيهن الا مطالعا
سوافر ما تلفى لهن براقع ... جعلن من الحسن البديع براقعا
بكل مهاة يخجل الرمح قدها ... ويقطع لحظاها السيوف القواطعا
تحدث عيناها حديث جمالها ... فيغدو لها قلب المتيم سامعا
وتخطر بين العاشقين فيغتدي ... لها كل قلب في الصبابة راكعا
اذا جليت للشيخ آيات حسنها ... توهمها عصر الشبيبة راجعا
غصون مع الاغصان في الروض تنثني ... نجوم يبارين النجوم الطوالعا
كأن جنان الخلد قد أنزلت لنا ... نشاهد فيها حورها والبدائعا
سقاها الحيا من جنة كل من بها ... كآدم لم يخرج من الخلد طائعا
وحيى اويقاتا يعود كبيرها ... صغيراً فيغدو من فم الكأس راضعا
وحيى كراماً قبل راح تواضعوا ... فما زادهم كأس المدام تواضعا
وحيى الندى تلك الازاهر بالضحى ... والبسها تاجاً من الدر لامعا
وبارك في تلك المياه وطيبها ... فما احسن المجرى واحلى المنابعا
ولا زالت الارواح ترسم فوقها ... سطوراً فتقراها الطيور سواجعا
ولا زال في ضعف عليل نسيمها ... فكم جرَّ ذيالك العليل منافعا
وحيى الصبا تلك الغصون فكم غدت ... تحيي الوفود المنتشين رواكعا
ولا زال مخضر الاراكة خالعاً ... على بَرَدى بُرْداً من الظل واسعا
تحيي نداماه الشموس غوارباً ... به ويحيون البدور طوالعا
كرام صفوا نفساً وراقوا مناظراً ... وقد حسنوا خلقاً وطابوا مسامعا
صفا كل شيء عندهم فتكاد عن ... صفاهم ترى سر الضمائر ذائعا

ترى الانس فيهم حاضراً كل ساعة ... كأن لم يروا للانس فعلاً مضارعا
صغيرهم في الخطب شيخ وشيخهم ... تراه لدى الغارات امرد يافعا
سقى الله ربع الشام قطراً بقدر ما ... سقيناه في يوم الوداع مدامعا
ديار اخذنا الشوق منها وديعة ... لدينا وخلينا القلوب ودائعا
تقربها اشواقنا فنكاد من ... توهم لقياها نمدُّ الاصابعا
ونذكر اياماً بها ثم نثني ... نضم بايدينا الحشى والاضالعا
نقول عسى من فرق الشمل بيننا ... يكون بلطف منه للشمل جامعا

وقال يمدح المغفور له حمد بن ثويني سلطان زنجبار السابق
وقد كان رحمه الله اهداه وسام الكوكب الدري
ثم بينا كان الناظم يتهيأ لمديحه وقد نظم في
شكره ما نظم اذ ورد خبر وفاته فانصرف
عن المديح واستتم القصيدة بالرثاء
وهذا من غريب ما اتفق للشعراء

وردت هديتك التي في طيها ... شرف تفوق به الكواكب اجمعا
كالكوكب الدري الا انها ... جاءت بابهى من سناه واسطعا
اضحت عجيبة دهرها في صورة ... شمنا بها شمساً وكوكبها معا
نور على نور يضيء وصورة ... رسمت باشرف كوكب قد اطلعا
لا بدع ان يهدي النجوم فصدره ... فلك نراه لكل شمس مطلعا

هو معقل اللاجي وغوث المحتمي — وكفاية الراجي وعصمة من دعا
حمد التويني السعيد وحبذا — شرف يروقك منظراً او مسمعا
نسب الى قحطان ينمي اصله — في دوح مجد قد زكا وتفرعا
وضع العمامة فاعتلت شرفاً على — تيجان كسرى في الملوك وتبعا
وتقلد السيف اليماني فاغتدى — منه على سيف احد واقطعا

بلغ المديح الى هنا وتصدعت — اقلامه وهوى الثنا فتصدعا
وغدا يرجع بالرثاء مردداً — من كان يهتف بالدعاء مرجعا
لله يوم ما تبدى ايضاً — حتى غدا في العين اد كن اسفعا
وقصيدة لم يستتم مديحها — حتى استحال الى الرثاء مفجعا
بينا اليراع له صرير مطرب — اذ صار وهو انينه متوجعا
ذهب الذي خفي الزمان بفضله — عنا فكان على اذاه برقعا
وغدا بلا نفع ولا ضرر به — من كان يقدر ان يضر وينفعا
وتقطعت تلك العزائم بعدما — تركت بنان زمانها متقطعا

وقال وقد اقترح عليه رثاء المرحومة سسل سربوس

للموت في كل عين مدمع وكفا — لكنه مدمع يستوجب الاسفا
لا شيء اضيع من دمع يسيل على — ميت وكم تلف يستلزم التلفا
والصبر انفع ما داوى الحزين به — جرح الفؤاد واولى ما به لطفا
من خاض في غمرات الدهر اعوزه — صبر جميل لجرح القلب فيه شفا

ومن تعلم ان الموت غايته ... رأى بان بكاه ذاهب طلفا
هذي الطريق التي يجري الجميع بها ... ولم نرَ احداً في وسطها وقفا
الكل رهن المنايا لا فداء لهم ... من الجنين الى الشيخ الذي دلفا
وربما سبق الطفل الشيوخ بها ... كمن يؤخر في الفاظه الالفا
يمضي الجميع ولا يبقى لهم اثر ... غير الفعال التي تولي الفتى شرفا
كذا مضت سسل عنا وكان لها ... احسان اعمالها بين الورى خلفا
واستوطنت وهي في الاخلاق جوهرة ... قبراً يحق بان يدعى لها صدفا
سارت على سنة الرحمن جاهدة ... حتى دعاها فلبت حين ما هتفا
نقية ما رأت عين بها خللاً ... ولا رأى احد في خلقها صلفا
تبكي اليتامى عليها والارامل من ... دمع على قدر احسان لها سلفا
ولو ارادت وفاء الفضل ادمعهم ... لاستنزفت اسفاً والفضل ما نزفا
يا قبر اكرم لها قدراً ومنزلة ... فطالما كرمتها السن الشرفا
واحرص على جسمها من كل غائلة ... وان يكن قط حرص المال ما عرفا
صبراً عليها بني مربوس انكم ... ذوو اصطبار اذا دهر نبا وهفا
لئن تكن اوحشت من حبكم غرفاً ... فانهــا في الاعالي آنست غرفا
هناك من ربها تسقى مراحمه ... كما سقى قبرها الغيث الذي وكفا
فهذه الغاية القصوى لنا ابداً ... والله في كل حال حسبنا وكفى

وقال

تذكرت رسماً باللوى وطلولا وعهداً لاوقات الغرام جميلا
وعيشاً سلبناه النوى فاسترده سريعاً وما زال الزمان بخيلا
وعصر وصال خلته لانقضائه قصيراً ولولا الوصل كان طويلا
فارسلت من لحظي رسولاً وطالما جرى اللحظ بين المهجتين رسولا
أذكرها ما لم تكن نسيت وكم يواصل بالذكر الخليل خليلا
وان تلتقيني جانب الحي ساعة منكرة تحت اللثام اصيلا
وان تتقي لحظ العواذل انهم كثير وان الدهر صار عذولا
فجادت بحسن الوعد والحب آمر وعاد رسولي بالنجاح كفيلا

وقال

قالت وقد جئت الى بابها مالك عندي قلت قلب يذوب
قالت لقد ذاب اسى في الهوى قلت اذن جسمي عنه ينوب
قالت اخاف الناس تغرى به قلت لقد كاد لسقم يغيب
قالت ألا تبغي طبيباً له قلت وهل غيرك لي من طبيب
قالت بعيد عن محب شفا قلت وان شئت فمني قريب
قالت عهدت القلب يسلو الهوى قلت وهل قلبي مثل القلوب
قالت عجيب انت بين الورى قلت عجيب الناس يهوى العجيب

وقال

يا من اطارحه الغرام ويكتمُ وابيحه قلبي الكليم فيظلمُ
وازوره فيصد عني غاضباً متعتباً حتى كأني مجرم
وانا الذي اصفيه من ماء الهوى دمعاً به عيني السخية تسجم
والله يعلم ان لي في حبه قلباً بغير هواه لا يتضرم
يشكو هواي له كأن فؤاده متألم وانا الذي أتألم
ويصدني عن ان الوم هوى له عندي فلا اشكو ولا اتبرم
واساور الصبر الجميل كأنني خالٍ وقلبي منه قد قطر الدم
لو كان يدري ما يخالط مهجتي من حبه ودرى باني مغرم
لغدا وكل جوارحي في كفه خد وكل جوارح فيه فم
اخنى الزمان على فؤادي وهو لا يشكو وما الشكوى لمن لا يرحم
ولقد حملت الصبر في بده الهوى متعلماً والآن بي يتعلم

وقال

نأت داركم عنا وان قربت منا لانا غدونا لا نزور لها مغنى
ديار نحب القرب منها وانما يحول الحيا منا فيبعدها عنا
عدت اعين العذال عنها ولم نكن نظن بان تعدو عواذلنا منا
ولكن هو الدهر الخؤون اذا عدت عواديه جاء الشر فيه من الحسنى
فاضحى الذي يرجى لسلم محارباً واصبح خوفاً ما نظن به الامنا
برغمي ان فارقت داركم التي احب ولم اسأل لزورتها اذنا

فاني امرؤٌ ذو عزة تغلب الهوى ... وخير الهوى ما العز كان له خدنا
اذا كان في حب الحسان مذلة ... فلا خير في قلب غدا يعشق الحسنا
أحبتنا هذا الذي نرتجي بـه ... دوام الهوى اذ تعشقون العلى معنا
ومن قد غدا في المجد يحسن ظنه ... فذاك الذي في حبه نحسن الظنا

وقال وقد اقترحت عليه الحكومة المصرية
نظم ابيات ترسم على محطة القاهرة الجديدة

يا حسن عصر بعباس العلى ابتسما ... حتى الحديد غدا ثغراً له وفما
طرائق في ضواحي القطر تبلغنا ... اقصى البلاد ولم تنقل بها قدما
مصر كصفحة قرطاس بتربتها ... غدا القطار عليها الخط والقلما
ارض بها كان خصب النيل منتثراً ... حتى اتاها قطار النار فانتظما
لنا غنى عن قطار السحب منسجماً ... ولا غنى عن قطار النار مضطرما
يجري بها الرزق في جسم البلاد كما ... يجري دم في عروق الجسم منتظما
محطة هي قلب والخطوط بدت ... مثل الشرايين فيها والقطار دما
مع السلامة يا من سار مرتحلاً ... عنا واهلاً وسهلاً بالذي قدما

وقال يذم القمار

لكل نقيصة في الناس عار ... وشر معايب المرء القمارُ
هـو الداء الذي لا برء منه ... وليس لذنب صاحبه اغتفار
تشاد له المنازل شاهقات ... وفي تشييد ساحتها الدمار .

منازل كم أريق دم عليها وكل دم اراقته جُبار
نصيب النازلين بها سهاد فافلاس فيأس فانتحار
قد اختصر والتجارة من قريب فمدم في الدقيقة او يسار
وبئس العيش فقر مستديم يعارضه يسار مستعار
وبئس المال لا تحظى بيمين به حتى تسلّمه اليسار
يفر من البنان فليس يبقى لهم من اثره الا اصفرار
كأن الزئبق الرجراج فيه يدور فلا يقر له قرار
كأن وجوههم ندماً وحزناً كساها لون صفرته النضار
فبينا تبصر الوجنات ورداً اذا هي في خسارتهم بهار
كأن المال بينهم نجوم ورقعة لعبهم فلك مدار
فبعض نجومه فيها سعود وبعض نجومه فيها البوار
تراهم حول بسطتها قعوداً يدير عيونهم ورق يدار
عصائب لا يود المرء فيها اخاه ولا يراعي الجار جار
يلاحظ بعضهم بعضاً بعين يكاد يضيء اسودها الشرار
فتحسب ان بين القوم ثاراً ولا ثار هناك ولا نفار
ولكن جارت الاقدار فيهم ففي ابصارهم منها ازورار
كأن عيونهم لما اديرت فَراش حائم والمال نار
فهم لا يبصرون سواه شيئاً كساري الليل لاح له منار
وهم لا يعطفون على خليل وليس يشوق انفسهم مزار
وهم لا يذكرون قديم عهد وليس لهم سوى الامس اذكار

يذكرهم بما خسروه فيه ... وما كانوا عليه وكيف صاروا

كرب الثار أقبل يبتغيه ... فزيد عليه فوق الثار ثار

ترى الحاظهم فتخال فيهم ... خمار طلاً وليس بها خمار

ولكن دارت الحسرات فيهم ... كما دارت بشاربها العقار

فكم غضبوا على الايام ظلماً ... وكم حنقوا على الدنيا وثاروا

وكم تركوا النساء تبيت تشكو ... وتسعدها الأصيبية الصغار

تبيت على الطوى ترجو وتخشى ... يؤرقها السهاد والانتظار

فبئست عيشة الزوجات حزن ... وتسهيد وهجر وافتقار

وبئست خلة الفتيان هم ... واتعاب وخسران وعار

وقال يمدح الفاضل المهذب المرحوم سليمان باشا اباظه الشهير

وقد اعانه على مشروع ادبي

لسرى خيالك لو اصاب رقادا ... ولدام حبك لو ادام فؤادا

علمني السلوان من برح الهوى ... والشيء ينقص قدره ان زادا

الا سليمان الاباظي الذي ... ما زاد في العلياء الا ازدادا

من معشر تخذوا السروج مجالساً ... جعلوا لها سمر الصعاد عمادا

النافذين صوارماً وسواعداً ... والسابقين فوارساً وجيادا

والنابغين مكارماً وقرائحاً ... ينسين نابغة الزمان زيادا

ينقاد جمعهم لاروع ماجد ... يعطي المكارم من يديه قيادا

يتقلد المعروف منه معاطفاً ... فتخاله فوق النجاد نجادا

يهفو الى فعل الجميل تحبباً ويخاله قبل المعاد معادا
واف متى ابدى الوعود اعادها نجحاً وان بدأ الجميل اعادا
بعض الورى سادوا وما شادوا لهم ذكراً وهذا الشهم ساد وشادا
تلقاه ابكار القوافي خشعاً وتخاف منه مهذباً نقادا
وتراه ان ظلم المشاكل اطبقت القى عليها بفكره الوقادا
يقضي النهار مجالساً ومساجلاً ادباً ويقطع ليله اورادا
يا ايها الشهم الذي بمديحه اعيى المراد واعجز المرتادا
يفديك كل فتى اذا استنديته فكأنما استنديت منه جمادا
خبث الورى طبعاً فعد لئامهم زمراً وعد كرامهم افرادا
وقد انفردت اليوم عن افرادهم بخلال جود ما تعد فرادى
انجزت لي وعداً فصرت أحب ان تغدو جميع مآربي اوعادا
ووثقت عندك بالنجاح نخلته قد صار رهن اناملي او كادا
ولقد وفيت بما وفيت وربما لقي الكريم جزا الوفاء فعادا
وجزاك عندي الباقيات خوالداً تفني طريفاً دونها وتلادا
شرد كمالك في البلاد وانما رجعت اليك محامداً ووادا
دعيت اوابد في الزمان لانها تفني العصور وتقطع الابادا
لا فخر الا انها بك نظمت ان الاضافة تكسب الاسنادا

وقال وهي من اواخر ما نظمه ايام اعتلاله

اخمد الدهر من فؤادي جمرا   وألان الزمان مني صخرا
وتجنت بي الخطوب فأنسـ   ـتني معاني الكلام نظماً ونثرا
وارتني الايام من اوجه الدهـ   ـر حروفاً عواطلا ليس تقرا
كلما قلت قد ظفرت بمعنى   ضربت دونه على السطر سطرا
قد تولى الشباب الا قليلاً   ومضى طيبه الشهي ومرا
كان لي في الصبى صبابة شعر   صبها صائب الصبابة هدرا
ذهبت والفؤاد يتبع اثراً   من خطاها والعمر يتبع اثرا
ان قلباً معذباً نثرته   اسهم الدهر كيف ينظم شعرا
لم تبقِ لي المصائب الا   قلماً كسره احق واحرى
كنت ارجوه للخطوب فاضحى   لي امضى سهامها حين يبرى
وغدا حبره يخط سطوراً   تجتليها عيني دماء حمرا
ما يرجيه كاتب من يراع   لم يكن في الذي يرجيه حرا
في اسار يكاد يكسره القيـ   ـد ولا يستطيع للقيد كسرا
يسفك الحبر مكرهاً وهو لو كا   ن طليقاً لكان يسبك تبرا
أعقبتني صبراً به بعض آما   ل وان الامال تعقب صبرا

وقال يهني سعادة الوجيه خليل باشا خياط بزفاف كريمته السيدة ماري
الى عزتلو الفاضل جبرائيل بك طنبه

اذا رنت فضحت الحاظ غزلان ... وان بدا قدها يا خجلة البان
خود نشبه بالاغصان قامتها ... وليس للصب منها لين اغصان
اذا جنى لحظنا من ثغرها دررا ... صدت فارجعها حبات مرجان
وان طمعنا بوعد من لواحظها ... مالت معاطفها عن وعد سكران
في خدها روضة للحسن طالعة ... تجني علينا ولكن ما لها جان
نحيلة العطف وسنى الطرف ما تركت ... قلباً سليماً وجفناً غير سهران
قد علمتني نظم الشعر مقلتها ... حتى اشتهرت به في كل ديوان
والشعر يحسن في شيئين موضعه ... في وصف حسن بدا او وصف احسان
واليوم قد جمع الوصفان كلها ... في خير دار حواها خير انسان
دار الخليل التي الرحمن باركها ... منذ القديم ولم تبرح الى الآن
بنى لها بيت مجد فوق اعمدة ... من الجميل فنعم البيت والباني
من آل خياط لا زالت منازلهم ... مرفوعة الشان يرجوها ذوو الشان
دار حكت قصر غمدان بشهرتها ... في بهجة ما حكاها قصر غمدان
طافت بساحتها الاعيان واحتشدت ... بها الكرائم من قاص ومن دان
كأنها جنة الخلد التي جمعت ... فيها المحاسن من حور وولدان
في ليلة اشرقت انوارها وزهت ... فالليل من نورها والصبح سيان
يا يوم سعد به جاد الزمان لنا ... فكان زينة ايام وازمان
زفت به شمس حسن ما تغيب الى ... شمس العلى فالتقى في الحي شمسان

هذا القران قران النيرين بدا — على العروسين اذ يجلى العروسان
ياخير حسناء ما بين الحسان غدت — تهدى لخير فتى من بين فتيان
ما كنت اعهد شبل الغاب قبلكما — في الحي يأوي اليه ظبي عسفان
بشراك يا مريم البكر التي حظيت — بوفد جبريل من انعام رحمن
وليهن جبريل ان الله ارسله — اليك لما اصطفاه بين اقران
لا زلتما في نعيم كامل وهنا — مجدد الصفو ما كرّ الجديدان
يهديكما تهنئات القلب في ورق — من ليس يقدر يهديها بتبيان

وقال مؤرخاً هذا الزفاف

يا حسن عرس في الانام زها — فكسا الزمانَ طرازه المُعْلَمْ
نثر السرور على الوفود به — فغدا الثناء لاهله ينظم
من آل خياط كريمتهم — اضحت تُزفُّ لماجدٍ اكرم
هي مريم بعث الاله لها — جبريل بالبشرى لما انعم
أرخ كجبريل بشارته — قال السلام عليك يا مريم

سنة ١٨٩٧

وقال يمدح المرحوم توفيق باشا خديوي مصر السابق ويذكر له فن التمثيل ويدعوه الى اسعافه وقد حضر رواية من رواياته في ملعب حلوان وانشده اياها

ما ضاق بالشكران رحب جنانه — هيهات يسعفه الثنا بلسانه
هجم السرور على الفؤاد فلم تعد — تكفي عبارته بوصف بيانه

يامن بوفدك قد تعظم ربعنا … حتى كأنك زدت في بنيانه
قد اشرقت منك الشموس عشية … واخضر منك الروض قبل اوانه
وأريتنا ورد الربيع وحسنه … في حين لم نبلغ الى نيسانه
وتركت وادي النيل حلو موارد … لما أفضت نداك في حلوانه
هذي مدينتك التي قد شدتها … أثرًا يدل على علاك وشانه
أثر يدل على نداك كأنه … ثمر يدل على زكا اغصانه
ومقام انس لا يزال مرددًا … ببقائك الدعوات من سكانه
تثني عليك قرائح تجري بها … جدواك جري الماء في عيدانه
وتشيد فيك مدائحًا حسانة … لم يروها التاريخ عن حسانه
يارافعًا للعلم اركان الهدى … انظر فهذا الفن من اركانه
فن غدا يلقي عليك رجاءه … ويروم من علياك رفع مكانه
فانظر اليه فنظرة تكفيه ان … يجبى الى الآباد من ازمانه
فتكون ايدي القائمين بامره … كيد المصلي في دعا رحمانه

وقال يرثي المرحوم سليم بك تقلا مؤسس جريدة الاهرام

اضحت مغاني الصبر بعدك بلقعا … وغدا عصي الدمع بعدك طيعا
وتعودت فيك العيون دموعها … حتى حسبنا انها خلقت معا
ياراحلاً رحلت اليه قلوبنا … وقضى عليها الحزن ان لا ترجعا
ان كان فات عيوننا لك مصرع … فلقد تركت بكل قلب مصرعا
او كنت لم تسق ثراك دموعنا … فلقد سقينا طيب ذكرك ادمعا

ياطالما انتظرت قدومك اعين   اضحى عليها الدمع بعدك برقعا

ولطالما خفقت عليك جوانح   تدعو فاصبح يأسها بدل الدعا

كنا نؤمل ان نرى لك مطلعاً   من شرقنا فالشرق يعهد مطلعا

فاذا به الغرب الحريص يعيد ما   ابدى ويرجع فيه ما قد اطلعا

لله خطبك في الخطوب فانه   ملأ البلاد مناحة وتفجعا

اداه سلك البرق يرجف هيبة   منه ولو يدري به لتقطعا

ويلاه اية حكمة اودى بها   ريب الزمان واي ركن زعزعا

لو تعلم الايام ما سلبت به   قنعت بذاك وحقها ان تقنعا

اخذت حياة الفضل في شخص العلى   فكأنها حوت المكارم اجمعا

ياسفح لبنان افتخر مترفعاً   فلقد حويت اجل منه وارفعا

وليفتخر بحر امامك اذ يرى   بجواره بحراً امد واوسعا

ولتزكُ ازهار عليك فانها   كسبت شذا اوصافه المتضوعا

ولتهمِ فوقك من شآبيب الندى   سحب تحاكي جوده متبرعا

يا ايها القبر الذي قد ضمه   اني اخاف عليك ان تتصدعا

فلقد جمعت البحر منه وفوقه   بحر من الاجفان يجري مترعا

فاهنأ بما قد نلته من رفعة   اذ كنت للبحرين تدعى مجمعا

واحرص عليه فكم فؤاد بيننا   يشتاق ان يغدو مكانك موضعا

ياموحش الطرف السخين وذكره   في كل ناحية يشنف مسمعا

جات مصيبة مصر فيك فاوشكت   منها ذرى الاهرام ان تتضعضعا

ان كان اصبح طود لبنان بها   حزناً فان النيل اضحى مدمعا

قد كنت في جند المكارم تبعاً ... واليوم قد اضحت لنعشك تبعا
تسعى على آثار مجدك مثلما ... قد كنت فيها امس اكرم من سعى
لو امكن الاقلام ان تمشي على ... قدم لخرت حول قبرك ركعا
ولسال منها حبرها متدفقاً ... يروي لها ثمرًا بذكرك اينعا
ولو انها وعت الذي لقنتها ... لاتت باحسن من رثائي وابدعا
فلكم نظمت بها القريض مصرعاً ... ولكم نثرت بها البديع مرصعا
ولكم بلغت بها منازل في العلى ... لم تبق فيا بعدها لك مطمعا
ماذا عسى يرثيك قلب فاض من ... حزن فاوشك لا يعي مما وعى
لولا بشارتك الذي ابقيته ... خلفاً لما سلب الزمان وضيعا
فهو الذي جبر القلوب مسلياً ... ان كنت اوحشت العيون مودعا

وقال وهي من اوائل شعره وهو في السادسة عشرة

قصاراي من دنياي وصل حبيب ... ينازعني اياه الف رقيبِ
وبلغة عيش لا أني في طلابها ... اسير لها من همتي بنجيب
وحسبك مني عزمة لا ينالها ... كلال ولا يؤتى لها بضريب
مركبة في جسم اروع ماجد ... يرى قبة الافلاك ظهر كثيب
يمانعها ما تشتهي من مفاخر ... غرام به تغدو الصغار كشيب
يقود الهوى نفسي الى الذل والعلى ... يجاذبه منها اجل نصيب
يروم العلى مني التغرب والقلى ... ولست لداعٍ غيره بمجيب
سأقدم ما ابقى لي الدهر همة ... واركب في متنيه كل ركوب

لعل اجتهاد النفس يعقب راحة فتسكن او يأتي لها بكروب
فان التناهي في سرور وكربة لكالشمس في رأد الضحى وغروب
لحى الله هذا الدهر كم يدنّي به رفيع وكم يأتي لنا بغريب
وكم قصفت فيه قناة وكم وكم نبا في مداه حد كل قضيب
الى كم اداري جانب الناس صاغراً واقرف فيما بينهم بذنوب
وما لي الا العلم والحلم والحجى عيوب اذا عد الانام عيوبي
يهيج قلبي في الدجى كل صادح على كل روض فوق كل قضيب
يذكرني من لا ابوح بذكره فامزج تذكاري له بنحيب
رعى الله اياماً لنا قد تصرمت تمتعت من لذاتها بضروب
اذ ذكرتها النفس حنت صبابة كما حن للاوطان كل غريب

وقال متمثلاً بالشعراء الاقدمين من رجال الباس
وهي من اوائل شعره ايضاً

يا قلب لا تك بالجزوع واصبر على الخطب الفظيع
واذخر لنفسك صاحباً سيفاً يبلل بالنجيع
ان ابرقت صفحاته يغنيك عن مطر الربيع
وقناة خط لا يرد د عندها نفس الصريع
تمضي مضاء الموت في الآجال في صمم الدروع
واذا التوت تلهو بها عن مثل بانات الربوع
وكريم اصل ظهره يغني عن الحصن المنيع

ذو غرة تغني عن المـ ... صباح في ظلم المزيع
هذي الحياة ودونها ... لا سلم للشرف الرفيع

وقال متمثلاً ايضاً بمثل ذلك

وهي اول شعر نظمه وهو في الرابعة عشرة

وقد اقترح عليه ان ينظم في هذا المعنى

يا هائماً بالحسان مهلا ... لقد ظننت الغرام سهلا
ما الحب والله غير ذل ... وهل يطيق الشباب ذلا
ان كان يرديك سيف لحظ ... اين ترى سيفك المحلى
مالي وللغيد تستبيني ... قدودها المائلات عزلا
وكلما ازداد ذل نفسي ... تزيد عند الصدود دلا
الحب للعاشقين موت ... ظلماً فمت في الفخار عدلا
ما اجهل الخاضعين فيه ... وعيشهم في عمى وعلا
يستعطفون الحبيب صرعى ... ويطلبون الوصال قتلا
اني وحق الشباب ممن ... يرى الهوى للجمال ذلا
ومن سواد المداد اشهى ... لديه من اعين واحلى
عشقت بيض الظبى فقلبي ... عن حب بيض الظباء ملا
اما ومن زين المعالي ... بكل صمصامة وحلى
ومن بنى في السروج برجاً ... على عماد القنا فاعلى
لاعين الخيل في قتام ... يريك فيها الغبار كحلا

احب من عين ذات خدر　　مقرونة الحاجبين كحلا
لا تحسباني اخا غرام　　وان لي في الحسان شغلا
اذا تغزلت في قصيد　　فعادة الناظمين قبلا
والله لم يبد لي غرام　　الا رايت الفؤاد اغلى
والحمد لله لست ممن　　قلوبهم في الغرام تصلى

وقال وهي مما نظمه في حداثته

يا قاتل الله الحمائم　　فلكم تنبه كل نائم
ولكم بترديد الهديل　　تسيل ادمعنا السواجم
يا معشر العشاق هذي　　حالكم بين العوالم
تشجي قلوبكم الصوا　　دح في الدياجي والبواغم
لله قلبي كم يحمل في الغرا　　م من العظائم
يا كاسر الجفن الصحيـ　　ح ارحم كسير القلب هائم
كيف السبيل الى لقا　　ك وانت خلف الصد قائم
لو كان يحجبك النوى　　لبريت اخفاف الرواسم
او كنت تحجبك الصوا　　رم دست اعناق الصوارم
قلبي اليك فانه　　كالطير فوق خباك حائم
اشتاق وصلك مثلما　　يشتاق برد الماء صائم
واحر قلبي في الغرا　　م لبرد ما بين المباسم
لِمْ لم ترق لحالتي　　ودموع عيني كالتراجم

أتراك احببت التجاهل　　يا بديع وانت عالم
تبدي لي النظرات منـ　　ـك تحيباً والنطق كاتم
واغالب الكتمان فيك　　مخافة من لوم لائم
هيهات يخفى الحب ان　　ظهرت من الدمع العلائم
فالدمع من مطر العيو　　ن وللهوى فيها غمائم
روحي فداء غزالة　　تخذت فؤادي كالمعالم
اني عداني ان ازو　　رك ما تناقله اللوائم
ماذا عسى يتحدثون　　سوى باني فيك هائم

وقال في صباه

الا يا ظبية بالرقمتين　　لعينك ما تسح اليوم عيني
سلبت من الفؤاد جميل صبري　　بجيش من سهام المقلتين
اقول لعينك النجلاء مهلاً　　فقد قربت ما بيني وبيني
اتى يبغي سواد القلب مني　　سوادك فاتنى بالاسودين
اخذت عليَّ عهد هواك ديناً　　فهل من عطفة كوفاء دين
يوافق خفق قرطك خفق قلبي　　ومالي طاقة بالخافقين
كأني اذ بدت بذؤابتيها　　رأيت البدر بين الليلتين

وقال وهي من منظومات صباه

يلوم الناس صرف ذا الدهر بينهم　　وليس يلوم الدهر غير جبان

فان صروف الدهر يوم وليلة ... على الناس بالاحداث يختلفان
فكل طويل الباع يسعد فيهما ... ويشقى الذليل العاجز المتواني
اذا عز نيل العز في بلدة فدع ... منابتهــا وارتع بغير مكان
ابى الله ان ارضى الهوان وهمتي ... لهــا مطلب لا يدني لهوان
ولي من ذكاء القلب اصدق شاهد ... ومن كرم الجدين لي عضدان
اذا لم يكن لي شاهد بقرابة ... لهم لكفاني شاهد بلساني
طبعت على اخلاقهم وصفاتهم ... وتنبت غصن البان دوحة بان

كنا بعثنا الى بعض الافاضل الذين علمنا ان الناظم رحمه الله قد مدحهم نسألهم ارسال قصائده فيهم لنثبتها في هذا الديون فوردنا من حضرة المحامي الشهير نقولا بك توما هذه الابيات وهي تتمة لابيات نشرناها من قبل في صفحة ٦٤ آخرها هذا البيت

اعقبتني صبراً به بعض ... آمال وان الامال تعقب صبرا

ويليه هذه الابيات

ورجاء عقدته بكريم ... وحروف الرجاء تكتب اجرا
لاح لي نوره على ظلمة اليأ ... س فاضحى من شمس جاليه فجرا
من وفي اذا تبدى هلال الوع ... د منه ابدى لك النجح بدرا
فاق لطفاً فكاد ان يحسب النا ... س ذنوباً له وان يتبرا
خلق الله شخصه بحر الطا ... ف جماماً فليس يعرف جزرا
وجرى فضله على انفس الور ... اد نهراً لا تلتقي منــه نهرا

وحلا خلقه فمازج صبري في فؤادي فلم ارَ الصبر مرا
قد اساء الزمان في اهله قد مًا الى ان اتى براك عذرا
وبدت للدنيا ذنوب بنيها ظاهرات فاسبلت منك سترا
ياخطيباً له منابرنا تهتز كبرًا وليس يهتز كبرا
كم مقام وقفت فيه نصير الحق فردًا تبدي الادلة تترى
بلسان يجري على عنق الظلم حساماً وفي فم العدل قطرا
وبيان هو الحلال من السحر بدا ان في البيان لسحرا
ومعان البستها حلة الشعر فاضحت بها تفوق الشعرى
ليس بدع ان كنت اهديك ايات قريض فصاحب البيت ادرى
ضل شعري في كنه وصفك حتى صرت اشكو من طول فضلك قصرا
ذاك بعض مما خبرت ولم تبرح تزيد الاخبار عندي خبرا
لا تقل انني كذبت بمدحك كلانا اجل من ذاك قدرا

وقال في تهنئة بعثها الى حضرته يوم زفافه الى المرحومة
المبرورة السيدة شفيقه كرامه وذلك في ٧ يونيو سنة ١٨٩٥

هذا القران قران سعد اشرقت فيه من المجد الرفيع نجوم
قد افعمت منه القلوب مسرة حتى وددن لو انهن جسوم
ما فات بنت كرامة من بطرس شرف ولا اقصاه ابرهيم
كلا ولا عزت نقولا عزة يومًا ولكن الكريم يسوم
مجد على الاعقاب يخلف مثله والمجد في بعض الانام عقيم

فتسابقا نحو العلاء كلاكما ... فكلاكما للمكرمات حميم
ما فيكما نسب يؤرخ زائد ... بنت الكرامة انت وهو كريم

وقال تاريخاً للزفاف

لصديقي توما الاديب تجلت ... غادة للبدور امست شقيقه
ياقران الهنا لك الله ارخ ... لنقولا . والعز زفت شقيقه

وقال مرتجلاً في زيارة لهما بالاسكندرية وهما مسافران لاوربا بعد الاكليل وذلك في ليلة ساهرة

قل للذي قد نال بنت كرامة ... انت الكرامة وابنها وابوها
لم ادرِ كيف يجوز ذاك ولست من ... دين المجوس ولست تتبع بوها

وقال في روض

روض عليه نضارة وبهاء ... لم تحو مثل جماله الحسناء
رق النسيم به ورق اديمه ... والحسن رق به ورق الماء
لعب النسيم به فعبس ماؤه ... وتراقصت اغصانه الميلاء
فكأن ذاك الماء عاشق غصنه ... وكأن ذاك الغصن فيه جفاء
والغصن يخطر بالزهور كأنما ... خلعت عليه نجومها الجوزاء

وقال

أليس غبيناً ان نقضب بيننا ... وبينك اسباب الهوى ونقطعا
وان نلتقي لا تنظر العين الفها ... سوى نظرة حتى ترد فترجعا
وان تنكري عرفاننا ان رأيتنا ... مكاناً كأنا لم نقف ساعة معا

وقال

عدل من الله لا انامُ ... وانتم في الهوى نيامُ
اين اليمين التي عقدتم ... والوعد والعهد والذمام
واين في الحب ما عهدنا ... من اوجه كلها ابتسام
في نظر كله كلام ... من اعين كلها غرام
ويح المحبين في هواكم ... يا بعد ما املوا وراموا
غركم حبهم فنمتم ... وغرهم وعدكم فهاموا
قد ذللوا فيكم نفوساً ... لغيركم لم تكن تضام
وارخصوا ادمعاً تؤاماً ... من دونها اللؤلؤ التوام
والدمع مهما اغتدى رخيصاً ... يغلو اذا باعه الكرام
كقطرة البحر وهي ملح ... تحلو متى صبها الغمام

وقال في ليلة مثلت بها رواية حسن العواقب لمؤلفها الشهير اسمعيل بك عاصم وقد خصص دخلها للفقراء

أيا حسنها من ليلة جمعت لنا ... غرائب احسان وحسن غرائب

مآثر اعراب بفن اعاجم ... وابداع اعجام بلفظ اعارب
رواية انس شنفت كل مسمع ... وبكر نظام شوقت كل خاطب
وقد قام اسماعيلها عاصماً لها ... لبعصمها في الناس من قول عائب
ولم يكفه التأليف حتى اضافه ... الى فضل اسعاف وموقف خاطب
فشارك في تمثيلها واعان في ... منافعها فالفضل من كل جانب
فلا بدع ان فازت بعقبى محاسن ... فعاقبة الاحسان حسن العواقب

وقال

لم أنس حين قددت جيب قميصها ... عنها وذيل الليل يجمعنا معا
فكأنني مزقت جلباب الدجى ... عن نور بدر بالغمام تلفعا
فرأيت ابدع منظر قد سطرت ... فيه المحاسن جل من قد ابدعا
جسم كتمثال الرخام ادق في ... تكوينه فطن اجاد وابدعا
هذا وقد صبغ الحياء جبينها ... حتى ظننت بياضه متبرقعا
وحنت علي حنو ام مرضع ... مع انها بكر ولم تك مرضعا
وثنت على عنقي يديها خجلة ... مني لتحجب ناظريَّ وتمنعا
فرأيت احسن هارب مني الى ... صدري واجمل خائف قد روعا
ورنت الي فكنت طوع بنانها ... حباً وكانب من بناني اطوعا
واجبتها وجبينها متصبب ... عرقاً حكى دراً عليه ترصعا
لا تستري هذا الجمال بثوبه ... فالبدر ليس يروق حتى يطلعا
والشمس ليس يلوح رونق نورها ... الا اذا انجاب الغمام واقشعا

والدمية الحسناء لا تحلو لنا ... حتى يزاح ستارها او ينزعا
لا يوقد المصباح تحت غشاوة ... بل ينجلي حتى ينير ويسطعا
حتى اتثنت فجعلت زندي حولها ... كنطاقها وجعلت صدري مضجعا
وضممتها حتى وثقت باننا ... جسمان ضمهما الهوى فتجمعا
لا شيء يبعد صدرها عني سوى ... حقين من عاج عليه تربعا
نهدان خصهما الغرام بنفسه ... عرشاً فساد عليهما وترفعا
فلو اجتلى اهل الغرام سناهما ... لغدوا جميعاً ساجدين وركعا
هذا وقد مزجت بريقي ريقها ... كالماء يمزج بالرحيق مشعشعا
وتناثرت منها غدائرها على ... عنقي فكانت عقدي المترصعا
وتلهبت وجناتها كالنار من ... فرط الحياء فاوشكت ان تلمعا
وجعلت اخمدها بتقبيلي فما ... تزداد الا حمرة وتوسعا
والليل يسبل ستره من حولنا ... فنزيد من طيب العناق تمتعا
والحب يملأُ من بهاء جمالها ... عيني ويملأُ من هواها الاضلعا
حتى رأيت الليل مال بجنحه ... ورأيت وفد الصبح يقبل مسرعا
فنهضت استرها وتسترني على ... خوف الرقيب وحقنا ان نجزعا
وجعلت لا التذ موضع صبوة ... الا ذكرت لديه ذاك الموضعا

وقال مجيباً صديقه الشاعر المشهور احمد بك شوقي

على ارجوزة ارسلها اليه من باريز

حكاية المسك مع الثياب ... اغرب ما مر بهذا الباب

اذ اقبل المسك الى الثوب النقي   وقال قد جئت بنشري العبق
اهديك من عرفي الذكي الوانا   تعطر الاذيال والاردانا
وتجتدي منهن نشرًا طيبا   اطيب للناشق من زهر الربى
لكن على شرط بكتم امري   كي لا يذيع في الانام سري
لانني من رغبتي في الكتم   وخوف ان يدري الوشاة باسمي
ظهرت ما بين الورى في لقب   مخالف كنية امي وابي
وفوق ذا فانما الاخاء   يزيد في توثيقه الخفاء
وانني ناديت فيما قد عبر   ياسعد من صافى وصوفي واستتر
فقال ذاك الثوب ما انصفتني   بما من الكتمان قد كلفتني
فانك المسك بطيب يعلو   والمسك من يحمله لا يخلو
وهب كتمت اسماً عليك ذائعاً   فكيف اخفي عنك عطرًا ضائعا
ثم حرام ان اكون وحدي   ممتعاً منك بهذا المجد
فانت للحب عين الشرف   ومن يكون شرفًا لا يختفي
لكن اذا رجعت للمواجب   وما قضت من حفظ حق الطالب
فانني اكتم ما استطعت   عسى اكون فيه قد نفعت
وان قرب القلب في البعاد   خير من القرب بلا وداد

وقال في جريدة الاهرام

انظر الى الاهرام بنيانها   والى جريدتها وقس تمثيلا
هذي دلالة ظالم بانيها وذي   قامت على عدل البناء دليلا

هذي تفيد الناظرين وتلك قد ... اضحت تفيد نواظراً وعقولا
هذي توافيها الانام وتلك قد ... تخذت الى كل الانام سبيلا
هاتيك ثابتة وذي سيارة ... تطوي البلاد تغرباً ورحيلا
هاتيك خرساء اللسان وهذه ... جاءت تجيد رسائلاً وفصولا
واليوم قد ثبتت لدينا مثلها ... ثبتت سميتها بمصر طويلا

وقال وقد ارسلها الى صديقه طانيوس افندي عبده جواباً على قصيدة

ماذا التعلل بالاقلام والكتب ... وليس غير اللقا للقلب من ارب
تأتي رسائل من نهوى ونحسبها ... برد القلوب فلا نلقى سوى لهب
هيهات ما رؤية الآثار مقنعة ... قلباً بغير لقاء العين لم يطب
لو كان ينفع في ذي غلة اثر ... لم يشك ذو غلة في سالف الحقب
مضى الزمان على هذا الفراق ولم ... نبرح نراوح بين العذل والغضب
نشكو الى الدهر هماً لا يفيدسوى ... هم وكم تعب يفضي الى تعب
بتنا نعلل بالآمال انفسنا ... ولا يعلل نفساً غير ذي كرب
اليك نشكو اشتياقاً لا يحركه ... الا هواك بقلب عنك لم يغب
يانائياً لا تراه العين مبصرة ... لبعده ويراه القلب عن كثب
يمثل الوهم لي لقياك دانية ... حتى لاحسبها صدقاً من الطرب
جاءت رسالتك الغراء سافرة ... عن وجه ود بماء الحسن منتقب
فضضتها فاذا حبر على ورق ... وشمتها فاذا در على ذهب
ثم انثنيت وبي سكر بما حملت ... من خمرة العتب لا من خمرة العنب

وان عفت الدار ممن احب فقلبي من شخصه ما عفا
مضى بعد ان حل حيث الفؤاد نحن الفؤاد له واقتفى
وعوضني رسمه في الهوى بديلاً لقد جاد بل اسرفا
رضي بفؤاد عفا رسمه وخلف لي شخصه المصطفى
فما الفؤادي يشكو بعادي كفى يا فؤادي شكوى كفى
تبعت اصح الورى جوهراً وفارقت جسماً غداً مدنفا
عليلاً يحن الى من تبعت ولو نال ما نلته لاكتفى
ولكنه صابر للزمان يقول عسى الدهر ان ينصفا
فترجع ايامه الزاهرات ويشرق من سعده ما اختفى
ويغدو اللسان مكان اليراع وتستبدل الكلم الاحرفا
حروف اذا خطها من مداد السواد يرى انه ما وفى
ولو شابهت قلب من تلتقيه لفارقها حبرها وانتفى
فتى طاب منه وداد الفؤاد وطاب الولاء وطاب الصفا
ورق هواه الى ان رقى وراق وصافى الى ان صفا
له خلق مثل قطر الندى ورأي يصدع صم الصفا
وقلب تصرف في المشكلات وجل لدى الود ان يصرفا
وطرف ينام عن الحاسدين ويرعى الصديق اذا ما غفا
وشعر تغار عقود الجمان اذا قرط الاذن او شنفا
وان رصف الحبر اىياته تود الثريا بان ترصفا
تدانت قطوف المعاني اليه وعزت عن الناس ان تقطفا

يامهدي الغرر الحسنى التي خجلت … من دونها غرر الاتراك والعرب
بيني وبينك ود غير مبتعد … ان كنت مقترباً او غير مقترب
ونسبة جعلت ما بيننا صلة … ادنى الى نسب من وصلة بأب
لا بأس ان لم يكن في قومنا نسب … ونحن قد جمعتنا نسبة الادب
يامن تكلفت مدحي وهي مكرمة … بها رفعت على هام السهى رتبي
مدح اخاف اذا سميته كذباً … وقدر قائله يعلو عن الكذب
جاريت ضعفي في ود وفي ادب … فكنت في كل حال صاحب القصب
وطارحتني القوافي منك زائرةٌ … بها لهوت عن الاسفار والكتب
هيهات لم يبقَ لي في الشعر من سبب … والشعر كالحب لا يأتي بلا سبب
قد ضاع ما بين اهل العصر وا اسفا … حتى استوت درر منه بمخشلب
وصارَ اكثر ما يهدى القريض الى … من ليس يفرق بين السيف والخشب
اعوذ بالله من دهر اكابره … احق من طفله باللهو واللعب
دهر به كلما قد شئت من عجب … لكنما اهله من اعجب العجب
كم قد تصدر منهم في المجالس من … غر ولو كان منها موضع العقب
وكم تأخر عنها من يحق بان … يحل من صدرها في العلم والحسب
قد باعدتنا الليالي وهي غاصبة … والرد يلزم شرعاً كل مغتصب
لعلها ان رأت سلب الوصال بنا … ظلماً ترد لنا من ذلك السلب

وقال وقد ارسلها اليه ايضاً

خليليَّ ان طال عهد الجفا … فما حال في الحب عهد الوفا

له عندي الانعم الباهرات تجل لدى الوصف ان توصفا
ولي من رسائله العاطرات جنان كساها الولا زخرفا
لئن لم يكن لي سوى حبه كفاني به نعمة تصطفى
وان لم ينل غير قلبي وفاه فمن وهب الكل قد انصفا

وقال من الموشح

يا وردة الحسن من دموعي حلاك در الندى الرطيب
نابتة انت في ضلوعي فكيف تحيين في اللهيب

* * *

يا درة ازرت الجواهر عند كلام او ابتسام
ووردة فاقت الازاهر في الحسن والطيب والدوام
جعلت قلبي عليك طائر يشدو كما غرد الحمام
ينشد في وصفك البديع ما يسكر الهائم الطروب
ويزدري الزهر في الربيع بحسن نظم ونفح وطيب

* * *

فارقتني والعهود كانت ان لا صدود ولا افتراق
وكنت في مهجتي فبانت تطاب في اثرك اللحاق
فاليوم نار الصدود هانت لما بدت لوعة الفراق
متى تجودين بالطلوع يا شمس من بعد ذا المغيب
فيرعوي نافر المجوع ويلتقي الحب والحبيب

***

ياطود لبنان فيك غصن كل ثمار المنى عليه
وقد زها في رباك حسن سمت بانواره عبيه *
مكحل المقلتين لدن والسحر من كحل مقلتيه
سقياً لما ثم من ربوع وبرد ازهارها القشيب
وغصنها اللين المطيع يميل مع نسمة الجنوب

***

طوبى للبنان ياحياتي لما حوى حسنك الوسيم
وبارك الله في النبات هناك والماء والنسيم
وحبذا الاعين اللواتي تجري على لؤلؤ نظيم
أهن مثلي من الولوع يجدن بالمدمع الصبيب
ام ذاك امر بها طبيعي اذا دعاها الهوى تجيب

***

هيهات ما في الهوى جماد ولا نبات ولا بشر
الا له في الهوى فؤاد اتاه طوعاً على قدر
فالحب فينا والاتحاد في الصخر والصلح في الشجر
كذا الهوى ساد في الجميع وكل نفس به تطيب
وكم لراميه من صريع يطربه السهم اذ يصيب

---

* قرية مشهورة في لبنان

وقال يرثي صديقه المرحوم خليل فواز وهي اخر شعر نظمه
وقد كان المرثي جاء من بيروت ليعوده مدة اعتلاله
وكأن الناظم استشعر بدنو اجله كما استشعر المتنبي فجاءت
قصيدته هذه كقصيدة المتنبي الكافية التي مدح بها
عضد الدولة حين فارقه وكانت آخر شعره
وهي من هذا البحر

لعمرك ما بكيت على صباكا ... ولكني بكيت على ولاكا
لانك ما استفاد صباك شيئاً ... من الدنيا بما كسبت يداكا
ولم تلن الصبابة منك عطفاً ... ولم تجب الهوى لما دعاكا
ولم تذق اللذاذة في التصابي ... ولم تنقل لغانية خطاكا
ولم تعرف هوى في الناس الا ... جهادك ان تطول على هواكا
وكم بالغت حتى فزت فيه ... فقد سميت فوازاً لذاكا
ولم تك قط عزهاةً ولكن ... براك على العفافة من براكا
ولم تكن الزهادة فيك طبعاً ... ولم تعرض عن الدنيا انتساكا
وانت اشد من صافى وداداً ... وانت اشد بالود امتساكا
ولكن عفت زهو صباك لما ... نهاك عن الهوى فيه نُهاكا
وكنت اعف من بكر حياء ... وكنت اشد من ليث عراكا
وكنت اشد انسان تبدى ... لنا بل كنت انساناً ملاكا
سرورك ان تسر الناس طراً ... وسعيك ان تفيد به سواكا
وهمك للصديق عراه خطبٌ ... ولا تهتم ان خطب عراكا

خلقت مروءة وندى وبراً   فما تستطيع عنهن انفكاكا
فكم ليت عن كرم نداها   وكم لبت على طوع نداكا
ولم تزل المروءة منك تجري   الى ان اصبحت منها دماكا
ولم تنفك تبذلها لتفنى   فما فنيت وقد جلبت فناكا
نهضت بها فكنت لها صديقاً   ومت بها فكانت من عداكا
فلو هي انصفتك غدت مثالاً   لينصبه الصحاب على ثراكا
فياليت الاولى كرماً وجوداً   قضيت فداءهم كانوا فداكا
يعز على يد كانت ترجي   عناقك ان أخط بها رثاكا
وعين كان يبكيها سروراً   لقاؤك ان تنوح على نواكا
وقلب كان يمسكه رجاه   بعودك ان يقطعه رداكا
كأنك عالم ان لن ترانا   الى امد فجئت لكي نراكا
لئن اصبحت لا ترجو لقانا   فان جميعنا نرجو لقاكا

وقال وقد ارسلها الى صديقه سليم افندي سركيس صاحب المشير
يوم الحكم عليه بالسجن في قضية امبراطور المانيا المشهورة

ياسجيناً جنى عليه الكلام   من ذنوب ما ليس يجني الحسام
جعلوا الصدق كل ذنبك في الحـ   ـكم وكم صادق بنصح يضام
قد اصابت سهام قولك من اكباد قوم ما لم تصبه السهام
وكشفت الحجاب عن ظلمهم حتى تجلى عن العيون الظلام
وضربت الهامات تحمل تيجاناً وتحنى خوفاً لديها الهام

وجعلت اليراع سيفاً فقلنا　　أظبى في يديك ام اقلام
واستهنت العقاب في جانب الحق فلا رهبة ولا احجام
ونصرت المظلوم من كل ذي ظلـ　　ـم فكادت تخافك الايام
وجعلت المشير منبر حكم　　انت فيه للصادقين امام
ليس بدع ان زرت سجناً فمن قبلك قد زارت السجون الكرام
هو مثل الغمام ان حجب الشمـ　　ـس فما حط من علاها الغمام
انما السجن كالطريق يسير الوغد فيها كما يسير الهمام
وهو مثل الغدير يشرب منه الـ　　ـذئب حيناً ويشرب الضرغام
قد ارادوا لك الهوان ولكن　　خاب ما املوا وضاع المرام
لهم الذم حيث تم لك الاجـ　　ـلال واللوم حيث ليس تلام
هل يساوي المظلوم ظالمه ام　　يتساوى الضياء والاظلام
قد كفى مفخراً لسجنك ان قد　　كان فيه اعداءك الحكام
أثرت فيهم سهامك اضـ　　ـعاف الذي اثرت بك الاحكام
هو سجن يمضي وقولك لا　　يمضي عليه يمر عام فعام
فاصطبر انهـا قلائل ايـ　　ـام وتقضى كما يزول السقام
فيعود الحسام وهو صقيل　　ويلوح الهلال وهو تمـام
وقلوب الاحباب فيها دعاء　　لك فيه تحية وسلام

وقال في واقعة حال وقد اقترح عليه ذلك

نحن اعضاء لجنة الخمر بحضور الكؤوس
قد حضرنا بالناي والزمر لانتخاب الرئيس
مقسمين اليمين بالسكر وطلا الخندريس
انا خاضعون للامر مطرقون الرؤوس

***

والرئيس الذي انتخبناه لارتشاف العقار
واعتمدناه وارتضيناه لكؤوس تدار
واماماً لنا جعلناه حين قر القرار
هو « عباد » صاحب الامر وامير الجلوس

***

امهر الشاربين في الناس ورفيق المدام
ونديم الخمسين * والكاس في الضحى والسلام
وامام لنا على الراس وهو نعم الامام
انتخباه ليلة البدر في اجتماع انيس

***

ذاك في جلسة عقدناها بحضور الصحاب
وانتخاباتهم جمعناها في كؤوس الشراب
فوجدنا اتفاق معناها بانتخاب الجناب

* زجاجة معروفة لبعض انواع الكحول

فجعلناه زينة الصدر وارحنا النفوس

* * *

تم هذا القرار تحريرا قبل يوم الاحد
ولقد قرروه تقريرا من سكارى البلد
ان «عباد» كان سكيرا لم يفقه احد
فاذا مات ليس من عطر بعد هذي العروس

* * *

سجلوا ذا القرار تسجيلا في بطون الورق
واقرأوه لحناً وترتيلا في نوادي العرق
وكذا ذيلوه تذييلا باسامي الرفق
تم هذا القرار في مصر في مساء الخميس

* * *

سنة السبع بعد تسعينا وثماني مئين
بعد الف من عهد فادينا سيد الشاربين *
الذي حلل الطلا دينا في الكتاب المبين
فاستعضنا بها عن الحبر وختمنا الطروس

---

* يراد من قوله سيد الشاربين ان السيد المسيح شرب الخمر في قانا الجليل وفي البيت التالي اشارة الى قول الكتاب المقدس قليل من الخمر يفرح قلب الانسان

وقال يمدح المبرور المرحوم سليمان باشا اباظه الشهير ويهنئه بعيد الفطر

اذكرها لو كان ينفعها الذكرُ زمان غرام كل ليلاته قدرُ
وايام وصل كن احلى من المنى اذا ادركت او ذاق لذتها الفكر
ليالي عقدنا لابنة الكرم فاغتدت وحلتها تبر واكليلها در
وبتنا نزف العقل للكأس بيننا على خلوة الواشي وشاهدنا البدر
ونرشف من اقداح احداقنا طلا هي الخمر في الالباب او دونها الخمر
هنيئاً لذات الحسن يعشقها فتى له النظم عبد طائع ولها الامر
الى واحد العليا سليمان تنتضى ركاب قوافٍ ركبها ابداً سفر
تناخ له في بلدة طابها الندى مطهرة «طهراء» حل بها الطهر
هنالك تلقى المجد مثنى وموحداً فمجد الثنا نظم ومجد اللهى نثر
وتنزل في ربع اقام بداره وجاوره نهران مولاه والنهر
ديار لها من امة العرب نسبة وفضل ومن ايوان كسرى لها قصر
تجاوب تحت الطل طير اراكها كأن الحيا جود واصواتها شكر
ويبسم فيها الزهر بشراً لوفدها فيلقاهم من كل زهر بها ثغر
ويحني لديهم كل غصن كأنه درى كرم الباني فحركه البشر
وما عمرت لولا سليمان والندى فدام لها عمر وطال له عمر
فتى لا يرى المعروف الا تبرعاً ولا المال الا ان يكون به الاجر
ولا الوعد الا ان يزينه الوفا ولا الفضل الا ان يتممه الستر
مكارم يطويے ذكرها ونذيعه فمنه لها طي ومنا لها نشر
وهيهات ما يغني عن المسك كتمه ولا الزهر الا ان ينم به العطر

ابا حسن ما كنت في الجود مسرفاً ولكن تمادى في سجيته البحر
واحسن ما يلفى الندى في محله واجمل ما زان العقود هو النحر
سيجزيك عني الشعر ان شاءه كرفدك عندي لا بطيء ولا نزر
ليهنك عيد الفطر بعد صيامه ويهنى المعالي اذ نداك لها فطر
ولا زلت تلقاك الشهور بواسماً ولا زال اعياداً بساحتك الدهر

وقال وقد سئل تقريظ ديوان للعلامة الفاضل

السيد ابي الهدى افندي الصيادي الشهير

ياحسن ديوان زها بنظامه فبدت عقود الدر دون كلامه
بلغ التمام من القريض بحسنه فسما على ذكرى ابي تمامه
وزهت معانيه باسود حبرها كالبدر يزهو في سواد ظلامه
هي معجزات نالهن ابو الهدى ظهرت عجائبها على اقلامه
هذا مشير الدولة العظمى الذي بهر الورى باللطف من احكامه
ياطالما ابدى الهدى بفعاله واليوم ابداه بحسن نظامه
نظم حوى من كل معنى رائق ما اودع الساقي لنا في جامه
واليوم قد ظهرت محاسن طبعه بتمامه كالبدر عند تمامه
فغدت تطيب له الفواتح في الثنا نظماً كما قد طاب حسن ختامه

وقال فيه ايضاً

ياحسن ديوان بدا لابي الهدى فجلا الصدا عنا كما روى الصدى

اهداه خمرًا للنهى وهدى به | فاعجب لمن اهدى الطلا لما هدى
هو معجز النظم الذي آياته | ضربت على آيات معجز احمدا *
اثر على وجه الزمان مخلد | يبقى اسم ناظمه الكريم مخلدا
هـذا الهدى فاتبع منار بيانه | وقل السلام على من اتبع الهدى

وقال

لشخصك من زهر الربى لقب الورد | وهيهات ما للورد حسنك في الود
تفوقينه ريحًا ولونًا ومنظرًا | وبقيا على طول المودة والعهد
فللورد شهر واحد ثم ينقضي | ووردك باقٍ لا يزول عن الخد
وللورد شوك يمنع الناس قطفه | وحاشاك من شوك على ذلك القد
ويقطف كل زهرة الورد في الربى | ووردك لم يقطفه الا انا وحدي
وللورد ريح واحد لا يجوزه | ونسرك ريح العطر والورد والند
وتعرى قدود الورد في العام مدة | وقدك دومًا بيننا ضافي البرد
وتنشا غصون الورد مبلولة الثرى | ومنشاك في القلب الذي جف من وجد
وتبقى غصون الورد طي ترابها | وقدك خطار من الوصل للصد
فسبحان من انشاك شخصًا وقد حوى | رياض جنان الخلد باسم من الورد

وقال يصف البحر وقد رأى بعض الحسان يغتسلن فيه

لله در البحر من مصورٍ | يصور الجسم جلي المنظر

* ديوان المتنبي

ويظهر الاعضاء تحت المئزر   كأنها بارزة لم تستر
من اسود وابيض واحمر   كالروض قد حلاه نور القمر
يبرده الشفاف فوق الزهر   يظهره رسماً وان لم يظهر
مثل نساء باهيات الحور   اقبلن يغتسلن لا من وضر
تبرداً بماء تلك الابحر   يغصن بين مائها والحجر
مؤزرات بثياب الشعر   على ثياب من نسيج الابر
رقيقة شفافة للبصر   فتظهر الجسم بابهى منظر
كأنها ترسمه للنظر   بكف روفائيل المصور
لو تسأل الوارد بعد الصدر   عن ذلك الماء الاجاج الكدر
لقال قد وردت عذب الكوثر   رغما عن الحور فيارب اغفر

وقال وقد اقترحت عليه

حبيبة القلب شكت علة   فمن يداويها يداويني
قد اسقمتني حين اسقمتها   حباً فاشكوها وتشكوني
ادعو لنفسي حين ادعو لها   فالله يشفيها ويشفيني
فلا رعى الله محباً لها   اشقى ويلتذ بها دوني
لا هو يرضيها ولا كنت ار   ضيه ولا تقدر ترضيني

وقال مرتجلاً وقد طلب منه ذلك

ما لاستير في الملاح نظير   غير من انقذت بني يعقوب

تلك قد انقذت شعوباً وهذي ... اوقعتني في حبها المكتوب
لم تهبني من يوسف عفة القـ ... لب ولا الصبر فيه من ايوب
خلصت اختك الالوف قديماً ... فارحمي واحداً من التعذيب
لا تظني اني المسيح لالقى ... ما فعلتم في ذلك المصلوب
انا موسى فشابهي بنت فرعو ... ن ونجي غريق مع صبيب
بحياة التوراة والكلم العشر ... وموسى واحمد والصليب

وقال

من لغصن النقا بلين قوامك ... او لزهر الربى جمال ابتسامك
من لبدر الدجى بحسن محيا ... ك اذا ما ازحت فضل لثامك
من لزهر النجوم يصبح منها ... لك قرط او حلية فوق هامك
من لهذي الافلاك تغدو سريراً ... ودراريها وساد منامك
من لدر البحار يخرج منها ... يترامى نثراً على اقدامك
من لعقد من جوهر في نظام ... يقتدي في الجمال مثل كلامك
من لريح الصبى بلطفك ام من ... لخزام الرياض طيب سلامك
من لقلبي بان يعيش سعيداً ... او يذوق الردى شهيا غرامك
فكلا الحالتين راحة صب ... وكلا الراحتين اضحى امامك

وقال في ابيات ارسلتها اليه احدى السيدات

يا حسن ابيات لاحسن غادة ... وافت فكان بها الشفاء من الضنى

أحلى لدى الظمآن من قطر الندى ... والذ للسهران من طيب المنى
لا بدع ان اثنت علي فطالما ... وعت الثنا حتى تعلت الثنا
ابيات صدق لا يفي بجوابها ... قلم ولو جعل المداد الاعينا
فحضرت تكريماً لناظم عقدها ... وجعلت عنوان الجواب لها انا

وقال وقد ارسل اليه احد أصدقائه رسولاً يسأل عن صحته في آخر ايام اعتلاله

يا من يسائل عني ... قد هجت عندي غليلا
وزدت قلبي سقاماً ... وزدت جسمي نحولاً
قد كدت من عظم وهمي ... ارى الرسول جميلا
وكدت من حر وجدي ... اراه عنك بديلا
ما كان ضرك يوماً ... لوكنت انت الرسولا
لكن اجلك عن ان ... اسومك التثقيلا
وان تعاني صعوداً ... لمنزلي ونزولا
وان اكون عليلاً ... وفوق ذاك ثقيلا
فافعل كاصلك واحكم ... فالفرع يتلو الأصولا

وقال

هذا سرير من اغتدت ... في الحب فاضحة الضمائر
(فاذا اوت لسريرها ... فالله اعلم بالسرائر)
يدري المحب حديثها ... والله اعلم بالسرائر

وقال في وصف الجعة (البيرا)

يقولون لي ما انت والجعة التي لها مرة صفراؤها ليس تحمدُ
فقلت لهم لا تنكروها فانما عواقبها كالصبر تحلو وتحمد
يزين آمال الطروب اصفرارها وتضرم نيران الهوى حين تبرد
الم تبصروا انا سكرنا بكأسها على الرغم منها وهي ترغي وتزبد

وقال فيها

لا خير في جعة تمر لشارب تصفر منها كاسها والشارب
او ما تراها من ندامة شربها عضت لها شفة ومص الشارب

وقال في صديقه السري الوجيه الخواجا يوسف سليمان من عيون المنصورة

يا يوسف بن سليمان حويت من الاسمين وصفين من حسن واحسان
فنلت من يوسف حسن الخصال كما قد نلت حكماً وجاهاً من سليمان

وقال مرتجلاً ومؤرخاً زفاف صديق له

دار حسن لنقولا زادها وفد هيلانه حسناً وسنا
زهرة من خير اصل طيب وجدت من خير اصل غصنا
زانت الدار التي حلت بها ونفت عنها العنا والحزنا
منزل حاكى سماء زينة حين فيه النيران اقترنا
منزل البدر الذي في برجه ارخوه بزغت شمس الهنا

١٨٩٦

وقال وقد كتب ذلك على صورة

أهديك بالرسم جسماً شفه وله ... لذاك لاح لديك الان منسقما
ولو قدرت بعثت الجسم في ورق ... لانه قد غدا شوقاً كما رسما

وقال وقد سئل ما ينظم على منضدة مائدة

ومائدة تطعم النازلين ... ولكنها ابداً صائمه
يقول لها الضيف دومي لهم ... فانت لنا سفرة دائمه
اجلت حماكم فكانت على ... قوائمها ابداً قائمه

وقال مؤرخاً وفاة المرحومة لوسيا خياط
والدة سعادة السري المشهور خليل باشا خياط

هذا ضريح ضم لوسيا التي ... لاقت سميتها بدار نعيم
من آل خياط الكرام كريمة ... درجت بلحد حف بالتكريم
سقت العفاة ترابه بدموعها ... وبكت عليه عين كل يتيم
صبراً بني خياط بعد فراقها ... فالصبر يعهد عند كل كريم
وعلى الضريح نقشت تاريخاً حكى ... ام الخليل بحضن ابراهيم
١٨٩٩

وقال

سريرك هيكل للحب حفت ... ملائكة الجمال بجانبيه
اقدم فيه قرباناً فؤادي ... واحسد ركبة ركعت عليه
واقسم لو تناول منه ميت ... لعادت روحه حالاً اليه

وقال

أتراني نسيت عهد الوداد ام فؤادي قد صار غير فؤادي
بل جفتني لما بدأت بان اسـ ـلو كأنا كنا على ميعاد

وقال

رأوا بكفي صورة اضمها من شغفي
قالوا لقد ضممتها جداً ولما تكتفي
فقلت لو اني ضمـ ـمت اصلها لم اشتفِ
فكيف عن بعدها أشفى وناري تنطفي

وقال وقد اهداه احد اصدقائه شيئاً من العنب في آخر ايام اعتلاله

هديتك العزيزة اسكرتني فهل عنب بها ام كاس راح
أحاول ان اراك ولست اقوى وكيف يطير مقصوص الجناح
فياطير المحاسن زر ربوعي فليس عليك في ذا من جناح

وقال

رأيت الحبيب على بعده فكان قريباً الى خاطري
كما تبصر العين بدر الدجى بعيد المدى وهو في الناظر

وقال ايضاً

احبك صب وشاع الهوى لذلك اصبحت تقصينه
وخفت به قول واشٍ وقد غدا خائفاً مـا تخافينه

يرى كل من قد خلا من هواك   يراك ولست تصدينه
يزورك لا الخوف يثنيك عن   لقاه ولا انت تثنينه
وصبك مثلك في بعده   يريد اللقا وتريدينه
وقد حيل بينكما لا وصال   بغير الخيال ترجينه
فان كان هذا مصير الحبيب   فطوبى لمن لا تحبينه

وقال في زهرة قرنفل

زهر القرنفل قد نبت ببقعة   حسد الفؤاد بها ندي ثراكا
الطيب ينقص فيك من شم ولو   شمتك من اهوى لزاد شذاكا

وقال

هذا سريرك ياحبيبة مهجتي   ياليتني كنت السرير مكانه
فينوب صدري عن غضيض فراشه   ليلاً وتخلف اضلعي اركانه

وقال ايضاً

اطافت بنا بين الحسان عشية   مهاة ارتنا الشمس بين نجوم
اذا لحظتها العين مال قوامها   كأن لحاظ العين مر نسيم

وقال

اذا كانت زيارتكم حراماً   فهل نظري لوجهكم حرام
رضيت بان اراكم من بعيد   وان منع التكلم والسلام
كذلك صرت اقنع لو سمحتم   بوقد الطيف لو سمح المنام

وقال وقد سئل نظم بيتين يوضعان في حلية على شكل القلب

فكرت في شيء يكون بقدر من يهدى له لا قدر من يهديه
فوجدت ان القلب خير هدية يهدى اليك لان شخصك فيه

وقال

وليلة ارسلنا اللواحظ بيننا صوامت الا انهن نواطق
تخبرني الحاظها خبر الهوى فيخبرها قلبي باني عاشق

وقال

واقسم ما قابلتها او ذكرتها على النأي الا والدموع تسيل
واحسب ان العامرية مثلنا اذا ذكرتنا والفؤاد دليل

وقال يهني حضرة صديقه الاديب يوسف افندي خياط بمولوده فؤاد

ياحسن يوم قد بلغنا به من نعمة الله المنى والمراد
اشرق في ساحتنا كوكب له الى النجمين خير اتحاد
من يوسف الخياط يبدي لنا جماله يوسف في كل ناد
سألته لما دعاه بما يهفو اليه من صدور العباد
فقال في تاريخه منشداً فؤادنا من ثمرات الفؤاد

١٨٩٠

وقال وقد رأى صورة تمثل درجات الحياة في الانسان من الطفولة الى الكهولة

درجات الحياة عشر ولكن لست اهوى منهن الا ثلاثا
رتبة تصحب الطفولة منهن وثنتان تصحبان الاناثا

وقال في وصف الشرف وقد اقترحته عليه مجلة الاجيال

ما الوصف في شرف الانسان قلت لهم ... كالوصف في الحسن لم ينقص ولم يزد
هذا جمال نفوس الناس تدركه ... وهماً وهذا جمال الوجه والجسد

وقال مهنئاً بزفاف

ياحسن عرس تم فيه لنا الهنا ... وبدا به بدر الصفا متلاليا
آماليا زفت الى اسكندر ... فغدا بها جيد المسرة حاليا
وغدا القرين بها يهني نفسه ... مع من يهنئه وينشد تاليا
عرس ظفرت مؤرخاً ببهائه ... وبلغت ما بين الورى آماليا

١٨٩٦

وقال وهو مما نظمه اثناء اعتلاله

بئس الحياة حياة لا سرور بها ... وما سرور حياة كلها سقمُ
مسرة المرء في الدنيا سلامته ... فان نقضت فخير للفتى العدم

وقال مقرظاً كتاب فكاهة الجلاس في مذاكرة الانفاس
لصاحبه الشاعر الاديب الياس افندي نوفل

هذا كتاب به نشر الرياحين ... يغني المطالع عن كل الدواوين
في كل نوع له عرف يضوعه ... كأن انواعه زهر البساتين
نفائس كن للانفاس تذكرة ... بكل معنى بحسن السبك مقرون
حوى من الشعر ما قد راق من حكم ... لابن الحسين واغزال ابن زيدون

تغني بانشادها في كل آونة ... ضروبه الغر عن ضرب القوانين
ابدى ابن نوفل ايليا نوافله ... فيه فقد نال اجراً غير ممنون
به تسهل ما قد كان من قدم ... تعنو لمطالبه شم العرانين

وقال وقد ارسلها الى صاحبة العصمة السيدة عائشة تيمور الشاعرة الشهيرة

دع التغزل بالغزلان يا رجل ... فما بكل مقام يجمل الغزل
لكل قوم مقال يستحب لهم ... وكل عصر له من اهله دول
يا حبذا اعصر الاعراب من عصر ... وحبذا الناقة الوجناء والجمل
وحبذا كل غور في ديارهم ... كأنه من مغاني اهله جبل
قوم اذا ما دعى الداعي بساحتهم ... فان رجع صداه البيض والاسل
الفاعلون فما ينتابهم زلل ... والقائلون فما يغشاهم خطل
كم بين آسادهم من ظبية برزت ... ريا تؤثر فيها الحلي والحلل
يغار غصن النقا من لين قامتها ... وينثني خجلاً من مشيها الحجل
تغني عن الطب في الاسحار نكهتها ... وعن تكحلها بالاثمد الكحل
يبدو لك الدر منظوماً اذا نطقت ... وان حكت خلت ان الدر ينفصل
هيهات ما حرم الاعراب منطقهم ... فكل قوم لهم من بعدهم بدل
اعنيك يا ربة الفضل التي بزغت ... شمس الحجى منه لا ينتابها طفل
لله ديوان شعر منك قد ظهرت ... آياته فمحت ما قالت الاول
دلت على فضلك السامي ولا عجب ... ان الفروع الى الاعراق تتصل
يا اخت عائشة الاولى التي نظمت ... در البديع بعقد ليس ينتحل

لقد رأيت بك الخنساء راثية   والاخيلية عند المدح تحتفل
وشمت نظمك في ظرف وفي ادب   فلاح شخصك لي ما دونه كلل
ومن رأى اثرًا للعين ابصرها   فكل عين لها من اثرها مثل
لله اعلام فضل في علاك رست   من غاب ليث كشمس ضمها الحمل
احييت من لغة الاعراب دارسها   فازدان من جيدها ما مسه العطل
لك التفضل فيما قد اتيت به   اذ كان يصدر منك الفرض والنفل
لئن تكن وردة في حينها ظهرت   فانت روضة ورد طيبها شمل
رفعت قدر نساء القوم في شرف   حتى تدانى لجنس المرأة الرجل
ارى المدائح تحلو في صفاتك لي   حتى اكاد بها في الشعر ارتجل
وقد ارى حسنها لولا مهابتها   مما يليق به التشبيب والغزل

وقال مقرظًا ديوان خاله المرحوم الشيخ خليل اليازجي المسمى بنسمات الاوراق

نظم الخليل لنا بدائع فكرة   فاقت نظام الدر في الاعناق
من كل معنى كالنسيم لطافة   يجري على لفظ كسحر الراقي
تحيا النفوس به ويفعل بالنهى   ما ليس تفعله سلاف الساقي
فكأنما اياته قد سحارت   من اسود المهجات والاحداق
شهدت سوابقها الجياد بانه   في كل معنى رب كل سباق
لله فرع اليازجي فانه   نبتت خلائفه على الاعراق
في دوحة للمجد فاح عبيرها   مدحًا وكان السمع ذا استنشاق
فغدت لنا النسمات من اوراقها   تغني عن النسمات والاوراق

وقال في ليلة ساهرة في منزل احد اصدقائه

وليلة بات بدر التمّ عن كثبٍ   منادمي ونجوم الكاس تسقيني
ما كنت اعهد بدراً قبل رؤيته   يسير بين الندامى والرياحين
يسبي العقول بكاسيه ومقلته   فما يناديه الا كل مفتون
تبارك الله انشاه على مهل   فزين الحسن فيه اي تزيين
يفترّ عن مبسمٍ بالثغر منتظمٍ   فذاك للناس درٌّ غير مكنون
درٌّ تباع يواقيت النفوس به   وليس بائعها يوماً بمغبون
ووجنة نمّت بالند حمرتها   لما تبدت عليها صورة النون
قد مر يخطر والالحاظ تجرحه   حتى خشيت عليه اعين العين
ودار يرقص حتى خلت قامته   من لينها خلقت رهن التلاحين
لا تعذلن ابن عشرين يهيم به   لحسنه قد تصبى ابن الثمانين
ولا تلومنَّ اقواماً بنظرته   غدوا سكارى بلا عقل ولا دين
فان من تسلب الالباب طلعته   لا بدع ان لم يرى غير المجانين
سبحان منشيه من غصن ومن قمر   فكيف انشاه من ماء ومن طين

تقول الكسندره ملتيادي افيرينوه كريمة المرحوم قسطنطين خوري وصاحبة مجلة انيس الجليس هذا آخر ما اتصل بي من نظم صاحب هذا الديوان وقد كان رحمه الله تولى مباشرة ترتيبه في اول الشروع بطبعه وكأن القدر ابى له ان يراه تاماً مطبوعاً كما يريد فلم يمهله ان يرى منه سوى عدة صفحات مطبوعة وبعدها اشتدت عليه فقضى تندبه آثاره وتبكيه اشعاره

ولما كان رحمه الله قد اختصني من فضله باهدائه هذا الديوان اليّ فقد قضى عليّ حق ولائه ووده ان اتولى تمام طبعه فجمعت ما تفرق من دفاتره واوراقه وكنت امثلها للطبع حين العثور عليها ولذلك جاءت غير منتسقة من حيث تاريخ نظمها

وعدا هذا فانه رحمه الله كان قد ترك قصائد ومقطعات كثيرة بين ايدي اصدقائه العديدين دون ان يجعل نسخاً منها عنده ولذلك التمستها منهم بألسنة الجرائد والكتب واقمت انتظرها زماناً طويلاً فجاءني منها شيء ليس بالقليل اودعته كله هذا الديوان ولا شك عندي وعند كثيرين من عارفي فضله وكثرة ما اشتغل بالنظم ان له اقوالاً كثيرة لا تزال متفرقة يتعذر جمعها او لا بد لانتظارها من دهر طويل ولقد كنت اود ان انتظرها ما شاء الزمن لولا شدة الحاح الجمهور عليّ بابراز الديوان ولذلك اصدرته كما يراه القارئ وفي نفسي لما بقي طمع كبير

ولقد يتوهم كثيرون ان هذا الديوان صغير جداً بالقياس الى اشتهار الناظم بالشعر وشدة ولوعه به واكثاره منه ونعم انه لكذلك من حيث كل

شعره ولكن ليس كل ما نظمه مما يجب ان يودع ديوانه بل ان ثلاثة ارباعه منظوم في رواياته الكثيرة وهي ستطبع معها ولا يصح ان تنقل منها

على ان الديوان قد جاء صغيراً على خلاف مأمول الجميع ولذلك كانت ارادتي ان اضيف اليه شيئاً من محاسن نثره لولا انني وجدت ان تلك المحاسن كثيرة بحيث كان الاليق بها ان تكون كتاباً خاصاً لا ذيل ديوان ولذلك تركتها مجموعة لديّ وقد اعود الى طبعها ونشر اريجها ان شاء الله

ولما كنت قد رسمت في صدر هذا الديوان صورة الفقيد رحمه الله فقد رأيت ان اضيف الى هذا المقال شيئاً من تاريخ حياته بقلم اخص اصدقائه وهو حضرة الشاعر الفاضل طانيوس افندي عبده وهذا ما ذكره عنه :

هو الشيخ نجيب ابن الشيخ سليمان الحداد الكاتب الشاعر والصحافي الروائي المشهور ولد في بيروت في ٢٥ شباط عام ١٨٦٧ وقدم به اهله الى مصر وله من العمر ٦ سنوات فادخلوه الى مدرسة الفرير حيث تلقى فيها مبادئ اللغة الفرنسوية وامتاز على اقرانه بما كان يظهر عليه من مخائل النجابة ودلائل الذكاء

ثم عاد الى بيروت في ايام الثورة العرابية فدخل المدرسة البطريركية واخذ اصول اللغة العربية عن خاليه الشهيرين العلامة الاستاذ الشيخ ابرهيم اليازجي والمغفور له الشيخ خليل اليازجي فتمكن من شواردها وبلغ منها بالزمن الوجيز مبلغاً عظيماً دل على انه من تلك النبعة اليازجية

ثم ارسل مدرّساً الى بعلبك سنة ١٨٨٣ فاقام يدرّس في مدرستها اللغة العربية والفرنسوية سنة كاملة وكانت اول اشعاره الغرامية هناك وله فيها من الاشعار الرائقة على حداثته في ذلك العهد ما يدل اعظم دلالة على استحكام ملكة الشعر فيه

ثم استدعي الى جريدة الاهرام للمساعدة في تحريرها فكتب فيها عشر سنوات وضع في اثنائها كثيراً من الروايات التمثيلية والقصصية فوق اشغاله الكثيرة في الجريدة المذكورة فوقعت رواياته موقع الاعجاب من جميع قرائها وسامعيها لما اشتهرت بـه من حسن الجدل وسلامة انتقاء المواضيع وبلاغة الانشاء ورشاقة الشعر حتى اصبح يتغنى بشعره المنشدون ويتناشده الناس لما اختص به من الطلاوة والسهولة والابداع ولذلك فقد بعد صيته وانتشر شعره في جميع ارجاء القطرين المصري والسوري انتشاراً لم يسبق لسواه من مشاهير الكتاب ونحن نذكر اشهر هذه الروايات وهي :

« صلاح الدين الايوبي » احسن ما فيها مواقفها الغرامية واحسن كتابته في هذه المواضيع ومن حسناتها موقف العاشق والمعشوقة في الفصل الاول منها

« المهدي » حسناتها في شعرها وفي مواقفها الحماسية والغزلية كتبها قبل ان تقررت الحملة على السودان وجعل وقائعها من قبيل التكهن عن شأن هذه البلاد فجاءت موافقة اكثر الموافقة لما جرى الى الان مما يدل على حنكته في السياسة ايضاً لطول عهده في التحرير

« شهداء الغرام » احسن ما فيها ابياتها الغرامية

«حمدان» اجمل ما فيها وصف حمدان لنفسه في القصيدة الدالية وخطاب الملك عبد الرحمن قبر ابيه ولا تزال بعض الجرائد تستشهد بفقرات منه ولا سيما في ما جاء بكلامه عن الشعب

«السيد» احسن ما فيها اجادة تعريبها وحفظ الاصل بتمامه بحيث لا يفوت السامع شيء من بلاغتها الاصلية وهي اول الروايات التي عربها

«البخيل» اشهر ما فيها المحافظة على نكاتها المضحكة وحسن سبكها في القالب العربي بما يؤدي الى السامع ذات المضحكات التي قصدها المؤلف الاصيل وفي ذلك من صعوبة التعريب مالا يخفى اذ يضطر المعرب ان ينتقل من الذوق الافرنجي الى الذوق العربي مع المحافظة عليهما معاً وفيها عن وصف البخيل ابيات مشهورة

«فيدر» احسن ما فيها نظم القصيدة المشهورة عند الافرنج التي يروي بها «تيرامين» وفاة «ايبوليت»

«الرواية الشعرية» قد احتذى فيها مثال خاله المرحوم الشيخ خليل اليازجي في روايته المروءة والوفاء ولكنها لم تمثل لعدم رغبة بلادنا في هذه الفنون الجميلة

وله ايضاً من الروايات التمثيلية «الرجاء بعد اليأس» و«ثارات العرب» و«قتل القيصر» و«سينا» و«بيرينيس» و«عداوة الاخوين» و«زايير» و«اوديب» وكثير غيرها تدل على علو مكانته في هذا الفن

اما رواياته القصصية فاشهرها «الفرسان الثلاثة» وهي اول ما عربه من القصص ويظهر لمن يقرأ اجزاءها تباعاً كيف ان معربها كان يتدرج في هذا

الفن من كتابة ابناء المدارس الى الانشاء المستقل الذي يتبع فيه الكاتب طبعه المفطور عليه بعد ان تزول عنه ملكة التقليد المدرسية واحسن ما في تعريبها مواقف الغزل والعتاب والحماسة ووصف الرياض وهي واقعة مع توابعها في اربعة مجلدات وقد نشرت في ذيل جريدة الاهرام

وله ايضاً رواية « غصن البان » وهي رواية عواطف ووجدانات ابدع فيها ما شاءت البلاغة من وصف الشعائر واظهار وجدانات النفس ببيان لم يسبقه اليه سواه من كتاب العرب ولم يطرقه غيره من كتاب هذا العصر لصعوبة هذا الموقف وقد ضاهى فيه اشهر كتاب الافرنج كما تشهد بذلك هذه الرواية واكثر رواياته التمثيلية . ولهذه الرواية نكتة لا بأس من ايرادها وهي : ان واحداً من كبار القوم قرأها ففتن بها وآلى على نفسه حلفة صادق ان يقبل يد كاتبها ولم يكن له معرفة شخصية به فما زال يسأل عنه حتى لقيه في مجلس حافل بالادباء فبرَّ بيمينه واخبر القوم بما دعاه الى تقبيل تلك اليد

وله ايضاً روايات « حديث ليلة » و« غرام واحتيال » و« غرام الاخوين » و« فرسان الليل في ثلاثة اجزاء » وله شرح على خطبة المروءة والوفاء لخاله المرحوم الشيخ خليل اليازجي شرح فيها اصول هذا الفن وقواعده

هذه هي اشهر مؤلفاته ولا بد لنا ان نذكر في هذا السياق انه اذا لم يكن منشئ فن التمثيل في هذا القطر فهو الذي اوصله الى ما هو عليه من الاتقان وهو الذي جعله في هذه المكانة من الاقبال عليه بل هو الذي احياه وابرزه الى عالم الوجود بعد ان عبثت به ايدي الخمول فاصبح له الفضل

العظيم على هذا القطر باحياء هذا الفن الجميل فيه بل له الفضل على الفن نفسه ايضاً لوضعه في مقامه من الاجلال وفي مكانته من الاحترام ولما ادخل فيه من الزيادات التي استحسنها جميع الناس ولذلك فان اشهر الاجواق لا يمثل غير رواياته ولا يقبل فريق الادباء الا على هذه الروايات

والذي يطالع اشعاره يجد اكثرها من الشعر العصري الجديد والوصف الطبيعي ولكنه امتاز عن غيره ممن اتبعوا هذه الخطة في عصرنا بان شعره مع جدة معانيه وموافقتها للذوق العصري ومخالفته للمعاني القديمة بارز في الثوب العربي الصحيح خلافاً لما يظهر على شعر غيره في المعاني العصرية من النسق الافرنجي المتمحل وعدم موافقته في شيء للاساليب العربية المألوفة

ومما خالف به الشعراء قاطبة عدم تعرضه للمدح الا في القليل النادر لكراهته مدح من لا يستحق المديح ولذلك فان مديحه منحصر في من اجمع الناس على امتداحهم او اقترح عليه مدحهم قضاء لواجب ادبي او وفاء لحقوق الصداقة

ومن مقالاته المأثورة « المومسات والزواج » و « الغني والفقير » و « الخادم والمخدوم » و « رحمة بالاطفال » و « مقالة في مذابح ارمينيا » و « مقالة في الزواج » وفي « المقابلة بين الشعر الافرنجي والعربي » نشرت في مجلة البيان و « المرأة والرجل » و « المرأة والعلم » و « سارقة الرغيف » وغير ذلك كثير مما نشر في جريدة لسان العرب وسواها من الجرائد السيارة

اما صفاته فهو ربعة القامة حنطي اللون كثير التصور حاد الذهن سمح البديهة حتى انه قد يرتجل القصيدة الطويلة على نفس لا يقطعه واذا اقترحت

عليه الكتابة في موضوع فهو يسبق جنانه اللسان ويعدو قلمه البنان . وهو طاهر القلب عف الضمير مهذب الاخلاق لطيف المحاضرة فصيح الكلام فاذا تكلم انصتت اليه الاسماع وشربت حديثه العذب كل الطباع

وفي سنة ١٨٩٤ انشأ جريدة لسان العرب اليومية الشهيرة وله فيها المقالات الرنانة التي بلغ دويها جميع انحاء هذا القطر ودلت على مكانته العليا من البلاغة في عالم الانشاء فزادته شهرة على شهرته الواسعة واقبل القراء عليها من كل صوب لما بلغت اليه من بعد الصيت بفضل هذا المنشيء البليغ وقد ادرك سر بلاغته من قرأ كلامه من الملوك فاهداه سلطان زنجبار رحمه الله وسام الكوكب الدري من الدرجة الثالثة مكافأة له عما بذله في خدمة العلم وحضر بعض رواياته الدون كارلوس الذي ملك جانباً من اسبانيا وهو مطالب بعرشها الان عند تجواله في القطر المصري فاهدى اليه دبوساً من اللؤلؤ الثمين وبعث اليه برسمه وقد كتب عليه بخط يده كتابة تدل على شدة اعتباره لهذا الروائي الشهير . ثم اضطرته بعض الشؤون الى نقل جريدته الى مصر فاصدرها على شكل مجلة اسبوعية جمعت من نفثات اقلامه كل ما يحمل على الاعجاب ويدل على فضله الواسع . انتهى

ذلك ما بعث به الينا هذا الفاضل وقد كان كتب هذه الترجمة في حياة الفقيد رحمه الله اجابة لطلب احدى المجلات التي ارادت نشرها مع صورته ثم حدث ما اخر عن نشرها فلما توفي صاحب الترجمة وعلم حضرة كاتبها بطبعنا ديوانه ارسلها الينا فنشرناها اتماماً لبيان منزلة الفقيد وان تكفل بها ديوانه هذا

ولقد نشرت مجلة الضياء ترجمة اخرى للفقيد بعد وفاته بقليل وهي لحضرة صديقه الفاضل الاديب يوحنا افندي سركيس فرأينا نشرها ايضاً قال :

سلام عليك يا روح نجيب الشريفه حيثما انت الان مقيمة سوآء كنت في ارق فراديس الجنان تنظمين للملائكة تسابيح الرحمن ام كنت سابحةً في عالم الفضاء تضيئين بين هذه الدراري الزهرآء ام كنت طائرةً في الهوآء ام كنت في عالم النور او في عالم الظلماء حيث تلتقي الارواح خالدة بعد الانتقال من عالم الفناء سلام عليك يانجيب من صديقٍ وفيٍ ودّع سرور الدنيا يوم ودّعك وشيع الانس والصفاء يوم شيعك وكاد يقضي عليه اسى يوم قضيت وتمضي روحهُ على اثرك يوم مضيت أترى عرف هذا البين ان كل دوآء مهما عزّ مبذول فيما يصيبك من الادوآء فابتلاك بالدآء الذي لا يرجى منه شفاء ام تراه كان عالماً ان من المحبين حولك نطاقاً يريد كل اقتحام فاختلسك اختلاساً تحت جنح الظلام . يا للردي الخائن كيف سطا على ذاك الشباب الغض فأذواه واعتدى على ذاك الهيكل الشريف فارداه واستطال على ذاك المقام الرفيع فقوض اساسه واستحكم من ذلك الصدر الرحيب فاخمد انفاسه ايعلم القبر ايّ نور طاع في ظلمته فحولها نورا واي كبير ثوى فيه وهو الصغير فصيره كبيرا أعلم المشيعون من الراحل العزيز الذي انشب البين فيه ظفره أعلم الواقفون على القبر من الثاوي الكريم الذي اودعوه قبره اتعلم العيون التي تبكيه من الذي ودعها ثم لن يمتعها بنظره ان الراحل سيد من سادات

البلاغة واميرٍ من امرآئها بل امير القلوب الذي كان مستولياً على اعنة اهوآئها ان الراحل هو الذي كانت الفاظه تجري مجرى الماء الزلال وكانت معانيه تفعل فعل السحر الحلال ان الراحل هو الذي تبكيه الاقلام وكانت واسفا ان الراحل هو نجيب الحداد وكفى فلا بدع اذن اذا بكاك يا نجيب ادباء القطرين بل كل من نطق بلسان العرب ولا بدع اذا اتشحت عليك بالحداد طروس الادب وقد كنت عنوان مجده ونثاره وحامل لوآئه ورافع مناره بل لا بدع اذا عصاني القلم اليوم فيما اخطه لك من الرثاء لا لافيك بعض حقك ولكن لافي حق قلبي من النوح والبكاء

يا ليت اني ما قنيتك صاحباً   كم قنية جلبت اسى لفؤاد
برد القلوب بمن يحب بقاؤه   مما يجرّ حرارة الاكباد

اجل ليت لم يكن بيني وبينك ذاك الولاء اذن لما كنت اليوم كما اراني سائل الجفن دامي الاحشاء ولما تقطعت مهجتي حسرات لما شاهدت من غصن شبابك الذابل ولا سقيت قبرك بالعبرات وقد توارى فيه بدر علمك الافل ليت عيني لم تكتحل بمرآك فلم ترمد يوم نواك وليت اذني لم تستودع تلك الدرر في حياتك فلم يردها الدمع يواقيت من عيني يوم مماتك وليت نفسي لم تسر بصحبتك فقد احزنتها اضعاف ذلك السرور في غربتك لا بل هنيئاً لي بما كان بيننا من صفو الذمام وطول الالتزام فقد عرفت بذلك عظمة صنع الخالق بما اراني من المعجزات في افراد الخلائق وعرفت كيف يكون الانسان في عقله كبيراً حتى تخيله الهاً صغيراً يبعث من سماء ذكائه ناراً ونوراً عرفت فيك كيف يكون البيان

سحرا وعرفت كيف تعصر الاقلام خمرا وينظم اللفظ درًّا عرفت كيف تعنو جياد الالفاظ لفرسان المعاني والبيان وكيف يكون صرير القلم تغريدًا حتى نخاله على الطرس طيرًا على الافنان عرفت كيف يكون التصور بعيدًا والفكر سديدًا والخاطر سريعًا والقلم مطيعًا أجل عرفت كل ذلك فيك ولا ابالغ بل انت فوق ما اصف وفيك اكثر مما اعرف فلقد كنت الشاعر المجيد تقيد الخيال الآبد وتصطاد المعنى الشارد

ولقد رأيتك والكلام جواهر ... تَوَم فبكر في النظام وثيبُ
فرأيت قسًا في عكاظ يخطب ... ورأيت ليلى الاخيلية تندب
وكثير عزة يوم بين ينسب ... وابن المقفع في اليتيمة يسهب

هذه صفته يا قوم وما وصفته الا بما عرفته ولما كنت لا احب ان اذكر له الحسنات الا بالبينات ولا انعته بالاجادة والاحسان الا عن برهان فانا اذكر له من قوله للقراء ما حضر الذهن الان وهو قوله من قصيدة في القمر

فيا شبه الحبيب حويت منه ... بهاه وفاتنا منك الفتونُ
وقاك الله كم تفني قرونـاً ... ولا تفني محيـاك القرون
وكم تحيي الظلام وانت ميت ... وكم تعلو النجوم وانت دون
حويت عجائبًا فدعاك قوم ... الهـاً حبه في الناس دين
تخبرهم باعداد الليـالي ... ويلزمك السكوت فما تبين
كانك في هلالك نصل سيف ... اجادت صقل صفحته القيون
تقطع منك اعناق الليالي ... وليس سوى الانام لها وتين

ترى فيه البداءة كيف كانت   قديماً والفناء متى يكون
وهل يبقى الوجود بلا فناء   وهل تعفو عن الشهب المنون

وهذا الشعر كما يراه القراء يتدفق سلاسة وطبعاً وهو عدا انه وصف جديد لم يسبق اليه احد من قبل على كثرة وصف الشعراء للقمر فانه يجري على طريقة هي السهل الممتنع لبلاغة تركيبه وعذوبة الفاظه . على ان فقيدنا لم ينفرد بنوع خاص من الشعر فنقول انه قد اجاد فيه لتماقـه عليه وحده كما ترى الفارض مثلاً قد اجاد في الغزل فلم ينظم في سواه او كما اختص ابو تمام بالرثاء والمديح فكانت كل شهرته بسببهما او كما اختص العباس بن الاحنف وعمر بن ابي ربيعة بطيب المنافثة ووصف مجالس النساء فلم يسبقهما احد اذ لم يكن لهما من شعرهما غير ذلك بل ان الفقيد قلّ ان نظم في غرض او في باب من ابواب الشعر سواء كان حقيقة او تخيلاً الا اجاد فيه الى الغاية حتى تعجب منه كيف بقيت في فؤاده فضلة للاجاد في سواه . ثم ان لدينا من الشعراء جماعة لم يُجد الواحد منهم في حياته الا في قصيدة او قصيدتين فكانتا سبب اشتهاره واغفل بسببهما سائر شعره كلامية ابن الوردي ولامية الطغرائي وبردة البوصيري وهمزيته المشهورتين وغيرهم كأن الطبيعة افرغت كل شاعريتهم فيما قالوه من هذه القصائد فكانت هي في طبقة وسائر شعرهم في طبقة اخرى ولذلك ترك سائر ما قالوه نسياً منسياً . ولكن لفقيدنا قصائد عديدة متناولة كل معنى وغرض وكل قصيدة منها منفردة في منزلتها لا يكاد يدانى فيها . ومن ذلك قصيدة له في القمار نشرت في الجزء السابع عشر من « البيان » فليطالعها من اراد مصداق ما ذكرناه

يجد انها قد تناولت كل حالات القمار ووصف جميع اطوار المقامرين حتى ليخال ان الفقيد كان من اول المقامرين واكثرهم علاقة بهذا الشأن مع انه رحمه الله لم يقامر قط في حياته ولم يشهد مجلساً من مجالس القمار وهذا ما يدل على بعد تصوره كما ان القصيدة تدل على تمام شاعريته وطول باعه في صناعة النظم ووضع المعاني في قوالبها الحقيقة . ومن تفقد رواياته وجد له في اثنائها من قصائد الحماسة التي كان ينظمها عن لسان غيره من اشخاص تلك الروايات وغيرها من قصائد العتاب والشكوى والاعتذار وسائر الاغراض ما يضيق هذا المقام عن استيعابه وغالبها من حسنات الشعر وعيونه وذلك فضلاً عن قصائده الخاصة في اغراض المدح والرثاء والنسيب وسائر ما هنالك مما هو مسطور في ديوانه الذي سيظهر قريباً ان شاء الله فيكون فيه غنية عن اطالة الشرح في هذا المقام

اما نثره فلا حاجة الى الاسهاب في ذكره والاستشهاد به لشهرته واستفاضته لانه بقي سبعة عشر عاماً لم يبرح قلمه من الكتابة اذ ابتدأ وهو في الخامسة عشرة من عمره في كتابة جريدة الاهرام وانتهى قبل وفاته بشهرين بكتابة جريدة السلام . ولهذا فاني لا اعتده قد مات في الثانية والثلاثين بل اني لو جريت على موجب القياس بين عمره وعمله لكان عمره بالقياس الى مبلغ ما كتب يتجاوز الخمسين والستين لان ما كتبه في هذه المدة القصيرة لو جمع لاجتمع منه مجلدات كثيرة . وجل ما انشأه كان من الجيد الحسن على حين قل ان يكون في الكثير حسن كثير وما كان احراه ان يكون كله حسناً لولا اضطراره الى الاسراع اتباعاً لما تقتضيه حالة

الصحائف في بلادنا من تفرد الكاتب او الكاتبين بتولي جريدة كبيرة في كل وجوهها وشؤونها وهو النقص الذي يذهب بمحاسن اكثر كتابنا ويعيي قرائحهم دون الوصول الى الكمال والاتقان

ثم ان للفقيد غير ما ذكرت من المآثر الادبية والمواهب العقلية مأثرة باقية — ولا اقول الى الابد — لانني في وجل من نجاح الاداب في بلادنا ومعرفة الآتي بفضل الماضي · الا وهي مأثرة فن الروايات وتعريبها عن الافرنج فانه وان لم يكن اول من اوجد هذه الطريقة فقد كان اول من اجادها وابدع فيها كثيراً حتى لم يترك لشاعر فرنسوي روايةً حسنة الانقلها وجارى ذلك الشاعر فيها من حيث ضبط المعنى واستخدام الكلام لارق العواطف وادق الوجدانات ولو كان ممثلو رواياته بالعربية كممثليها بالافرنجية لرأينا دموع شيمان تتناثر من اجفان كل مشاهد في التمثيل · ولكن ادباءنا وعامتنا قد عرفوا مع ذلك فضله وقيمة رواياته فكنا نشاهد بالحس ان الاقبال يكون حين تمثيلها اكثر جداً منه حين تمثيل غيرها · ولما كنت هنا اذكر الحقيقة بتمامها فانني اقول ولا اخشى الرد انه لولا رواياته لما كان عندنا جوق تمثيل لانها تكاد تكون ثلاثة ارباع ما يمثل وسائر الروايات الربع · هذا عن المعروف من رواياته ولكن له منها ما لم يعرف بعد ولم يتم كله بل بقي خطاً لم يفسح له اجله باتمامه · ثم ان له فضلاً آخر في غير الروايات التمثيلية وهو احسانه في الروايات القصصية التي عرب اكثرها عن دوماس فكان بتعريبها كانه نقل شخص دوماس الفرنسوي وجعله بشخصه عربياً لفرط ما ابدع في الترجمة وكثرة ما اجاد في التركيب والانشاء ولذلك

ترى رواياته شائعة بين الجميع وهي قد طبع اكثرها وقل ان يظفر احد بنسخة منها الان لكثرة ما كان الاقبال عليها عظيماً حتى نفدت كلها مع ما هو معروف من كساد سوق الآداب عندنا ولو فسح الله في اجله وترقت الآداب في بلادنا لكان يعد ابن الشعب وزعيمه لاجماعه على احترامه ومحبته

اما اخلاقه رحمه الله فقد كانت من ارق الاخلاق واطيبها وارضاها حسن العشرة لطيف المحادثة يأخذ كلامه بمجامع القلوب وتعشقه الاسماع فلا تمل له حديثاً مهما طال . وكان محمود الصحبة لين الشكيمة جميل الصنع لم يسؤ احداً قط بلسانه ولا قلمه ولذلك كان قليل الحساد والمناصبين على اشتهار فضله وعموم مدحه . الا انه كان قليل الرفق بنفسه خشن الجانب على حواسه وجوارحه لا يرعى لجسمه صحة ولا يطلب لنفسه راحة على شدة احتياجه الى ذلك مع ما فطر عليه من ضعف البنية وتسلط الداء فكان جسمه هو الصاحب الوحيد الذي يشكو صحبته ويئن من عشرته ولذلك لم تطل بينهما مدة هذا الاصطحاب وكان لا يهمه شيء من اسباب السعادة في الدنيا ولا يبالي بشيء من نوازلها كثير الزهد في المال لا يهتم للغد ولا ينقل قدماً لدرهم ولم يكن ينال من اجرته الا اقل من حقه مع انني اعرف كثيرين اقل منه علماً وخبرة واضيق حيلة عن التحصيل وهم ذوو مال ويسار . على انني التمس له في ذلك عذراً بما هو معلوم من ان اموال الادب قل ان تكسب في بلادنا من طريق محمود واذا اراد احد تصديق قولي بالبرهان فليخبرني عن الاديب المثري وانا اخبره كيف اثرى . ولقد قالوا ان العظيم ينبغي ان تنسى سيئاته ولما كنت الان في مقام المؤرخ

فانني لا استطيع ان اذكر لفقيدنا سيئة ولا غرو في ذلك فاننا اذا عرفنا ان الفقيد لم تكن له صلة دنيوية هان علينا ان نصدق انه لم تكن له سيئة لان السيئات لا تصدر الا حيث المطامع والجهاد في سبيل الحياة والتكسب وحينئذ فلم يبق له الا الحسنات التي اذكرها وهي لا تحتاج الى برهان لانها بين ايدي الجميع وتحت ابصارهم وحواسهم يشاهدونها كل ساعة ويستثبتون بها ما اقول كما ارادوا

اما تاريخ حياة الفقيد فهو كتاريخ حياة كل اديب عامل لا يحتمل التطويل فيه اذ ليس ثمت وقائع ولا اسفار ولا دخول في حوادث عظيمة من حروب وسياسات او وظائف وخطط واشباه ذلك . وقد كان مولده رحمه الله في ٢٥ فبراير سنة ١٨٦٧ في مدينة بيروت وبها نشأ وتلقى مبادئ العلم ثم جاء بعد ذلك الى الاسكندرية وتعلم بها الفرنسوية في مدرسة الفرير نحو السنتين ثم انتقل الى مدرسة الاميركان فاستزاد بها شيئاً من المعرفة في الفرنسوية والعربية وسائر علوم تلك المدرسة حتى اذا كانت الثورة العرابية هاجر الى بيروت مع اسرته ودخل هناك المدرسة البطريركية حيث كان رصيفه بها كاتب هذه السطور فلبث بها سنة واحدة يتلقى العلوم العربية على خاله استاذنا الاكبر صاحب هذه المجلة فاستفاد في هذه السنة فائدة جمة ثم انتقل بعد ذلك مدرساً في مدرسة بعلبك فاقام بها مدة وجيزة حتى استدعته جريدة الاهرام بالاسكندرية ليكون من منشئيها وهو في الخامسة عشرة كما اسلفنا فبقي المنشئ الاول فيها مدة اثنتي عشرة سنة بلا انقطاع . ثم فارقها وانشأ جريدة لسان العرب فاشتهرت اشتهاراً عظيماً لانه استقل

في انشائها وكان يجري فيها قلمـه مع وحي خاطره ولذلك كانت مقالاته فيها طنانة وقد اجاد في بعضها اجادة كانت تذكرنا بما كتبه الهمذاني وابن خلدون وامثالهما ولا سيما حين كان يكتب في الاخلاق . واظن ان اجل الفصول التي كتبها او كتبت الى الان كانت في نصرة المظلوم ووجوب اسعاف الفقير وله في هذا الشأن فصول طويلة لا استطيع الاستشهاد بها او ببعضها الان لضيق المقام لكن اشتهار امرها يغنيني عن ذكرها . وعلى الجملة فان فصوله الاخلاقية او التي كان يصور بها عواطف الانسان وامياله ورغائبه في كل شيء كانت متناهية في الحسن . على انه مع شدة تصوره الاشياء وحسن صناعته في ايرادها وصوغها كان قليل الرغبة في المباحث السياسية فكان اشد ما عليه ان يكتب فصلاً سياسياً واظن انه لولا اضطراره حين كان يكتب الاهرام ولسان العرب والسلام الى ذكر السياسة لما كتب فيها حرفاً واذا شئت استثبات ذلك رددتك الى لسان العرب الاسبوعي الذي اصدره بعد لسان العرب اليومي فانه لم يكن فيه اثر للسياسة ولكن المقالات الاخلاقية والوصفية التي كتبت فيه لا يزال صداها يرن الى الان ولا ريب ان ذلك منه عين الاصابة مع العلم بان السياسة في بلادنا لا قيمة لها ولا اثر ولو لقنه اياها بسمارك وغلادستون . وقد كان له من سعة الخاطر في الكتابة وطول الباع في تناول الاغراض المختلفة ما يندر مثله بين اصحاب الانشاء حتى كان لا يعجزه وجود غرض يكتب فيه بل انني اعلم ان اشرف مواضيعه واعلاها كان بسبب ما نراه احقر الاشياء وادناها لانه كان يستطيع ان يبني على كل شيء كلاماً حتى لقد رأيته مرة كتب فصلاً بديعاً عن فتاة صغيرة

فقيرة كانت ترتعد برداً في شوارع الاسكندرية في الشتاء وفصلاً عن فتى مات برداً في قارعة الطريق على حين كانت بقية الجرائد تكتب امثال هذه الحوادث في سطر او سطرين . بل انه رأى مرة امرأة تنظر وجهها في المرآة وقد جعلت خلفها مرآة اخرى تنظر بها قفاها فكتب فيها مقالة كانت في منتهى الحسن وهو تنبه غريب قلما يخطر لسواه

وعلى الجملة فقد كان الفقيد يعد عجيباً في بعض حالاته لان اقتداره على التصور ثم اجادته في الانشاء كانا يهونان عليه كل عسير في صناعة الكتابة . ولقد كنت اعجب بالكاتب الفرنسوي كزافيه دي مستر اذ قرأت عنه انه الف كتاباً يصف فيه مفردات مخدعه وكان يكتب فصلاً خصوصياً عن كل شيء فيه لكنني اعتقد ان الفقيد لو تنبه لمثل هذه الحالة لانتقل عجبي من ذلك الكاتب الفرنسوي الى هذا الكاتب العربي قياساً على ما اعهده فيه من حدة التصور وارسال الآراء الى تناول كل شيء

اما المطبوع من رواياته فهو صلاح الدين فقط وقد كان بوده ان يطبع كل ما كتب فلم تمهله مدته لما اراد . اما رواياته الخطية فهي حمدان وشهداء الغرام والسيد والمهدي والرجاء بعد اليأس والبخيل وثارات العرب . واما الروايات القصصية التي عربها فكان اولها رواية الفرسان الثلاثة بجميع اجزائها وقد صارت هذه الرواية مشهورة بتعريبه بين ابناء العرب كما هي مشهورة في الفرنسوية بين الفرنسويين وفي سائر الدنيا . ثم رواية غصن البان وقد اجاد فيها الى الغاية حتى فاق باجادته لامرتين ولو كان القراء عندنا يقدرون مبلغ العقل في الوصف مع حسن الاسلوب والديباجة لكانت هذه الرواية سمر

كل اديب وقنية كل مترسل · ثم رواية فرسان الليل وغرام واحتيال وفضيحة العشاق والعاشقة المتنكرة وحديث ليلة وكثير غير ذلك مما تحويه خزانته الملأى باقواله واشعاره ومقطعاته ورسائله الخصوصية وهي كلها تقريباً مما يتنافس به ويعد دلالة على توقد ذهنه وقوة عارضته وقد تظهر هذه الاثار كلها فتكون تزكية لشهادة هذا الضعيف الذي يغنيه اجماع الناس عن البيان ويكون ايثارهم لنفائسه وكثرة الثناء عليه كفاية له عن مزيد الافاضة في البرهان

ولقد كنت اود توفية هذا الفقيد حقه من النوح والبكاء فاكرر ما بدأت به من التأبين والرثاء وان اقف له على الاسى اجفاني ودموعي واخص باحتمال الحزن فيه جوانحي وضلوعي فابى وفاء صديق الفقيد وصديقي خليل افندي المطران الا ان يشاركني في الاحتمال وينشد عني وعن كل صديق بلسان الحال فرثى الفقيد بافئدة الجميع حيث قال

اربأ بنفسك ان تكون نجيبا وازجر خليلك ان يكون اريبا
فلقد ارى موت الاديب حياته والعيش موتاً يلتقيه ضروبا
وارى جوائز فضله وعلومه اعساره والداء والتعذيبا
يا للذكاء ينيرنا بضيائه ويكون للجسم المضيء مذيبا
يا للعلوم نظنها نعماً لنا فنصيبها نقماً لنا وخطوبا
ماذا افادك ان تكون محرراً ومحبراً ومفوهاً ولبيبا
ماذا افادك كل نظم شائق لفظاً ومعنى فائق اسلوبا
من كل مبتكر اغرّ محجب الا عليك فلم يكن محجوبا
ومجدد كالدر يبدل صوغه فتخاله عين الخبير قشيبا

نظم تزيد به الحقيقة رونقاً ... وتعيد مبتذل الامور عجيبا
كالشمس يسطع نورها في حمأة ... فيحيل قاتم لونها تذهيبا
يا خير من خط الرثاء لو انه ... يجري لسال محاجراً وقلوبا
هـلا رثيت به شبابك قبل ان ... ترثي محباً راحلاً وحبيبا
يا ناسجاً برد الروايات التي ... يرمي بها الغرض الشريف مصيبا
هلا قصصت حديث اروع فاضل ... نال الحمام من الكمال نصيبا
غصن نما حتى زكت اثماره ... فرماه كيد زمانه مقضوبا
فقضيت مبكياً وما يغنيك لو ... انا ملأنا الخافقين نحيبا
هذا جزاؤك باحثاً متسهداً ... مستنفداً عرق الجبين صبيبا
هذا جزاؤك فاضلاً في امة ... ما زال فيها الالمعي غريبا
يتفكه النفر الافاضل منهمُ ... بجنى حياتك شاعراً واديبا
يتفكهون باحرف اودعتها ... تلخيص عمرك مشرقاً ومغيبا
مهلاً وداعك للحياة تخطه ... في مهجة كادت تجف نضوبا
نفثات مصدور علت زفراته ... حتى ترى التصعيد والتصويبا
عبرات محتضر يضيء كشمعة ... تفنى وترسل دمعها مسكوبا
فلكم لبسن من الكآبة صفرة ... فحكين انوار الزوال غروبا
فارقدفما احرى الردى وهو الكرى ... ان يستطاب على الاسى فيطيبا
القبر افضل للفتى من مضجع ... فيه يقلب موجعاً تقليبا
وجلامد الارماس اهون محملاً ... من ان يحمل مثلهن كروبا

مؤلفات المرحوم الشيخ نجيب الحداد

(تطلب من مكتبة ومطبعة جرجي غرزوزي بالاسكندرية)

المنتخبات

رواية فرسان الليل
« غصن البان
« حديث ليلة
« غرام الاخوين
« فضيحة العشاق
« العاشقه المتنكره
« الفرسان الثلاثة جزء ٤
« السيد تمثيلية
« حمدان »
« حلم الملوك »

رواية ثارات العرب تمثيلية
« صلاح الدين »
« روميو وجوليت »
« الطبيب المغصوب »
« الرجاء بعد الياس »
« عمر بن عدي »
« اوديب »
« البخيل »
« فيدر »
« سيلادي »
« بيرينيس »